مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 10 العدد 2 أ، 2013، ص ص 1103- 1135

أحلام اليقظة في رواية "صمت الفراشات": مقاربة موضوعاتية

منتهى طه الحراحشة *

ملخص

تناقش هذه الدراسة تقنية أحلام اليقظة في رواية "صمت الفراشات" للكاتبة الكويتية ليلى العثمان، في ضوء المنهج الموضوعاتي، فتتأمل أحلام الشخصيات: حلم زينب، وأحلام نادية: حلم الهروب، وحلم الدراسة، وحلم الشقة، وحلمي الحبّ: حلم جواد، وحلم عطية؛ لتكشف عن معاناة المرأة، وواقعها، وخفاياها ومكنوناتها، في المجتمعات العربية الذكورية، ولتفهم أسباب صمتها. ولتبيّن الدراسة أثر تفاعل اللغة والمكان والزمان في تشكيل أحلام اليقظة في الرواية، والإيحاءات التي يجسدها حلم اليقظة ومدى تأثيره في سلوك الشخصيات، ووعي الفعل عند الكاتبة.

وتوصلت الدراسة، في أهم نتائجها، إلى أن تقنية أحلام اليقظة مكّنت الكاتبة من بسط رؤيتها في قضايا المرأة وهمومها على طاولة المناقشة والبحث، وفتح الباب على مصراعيه لتصور مآسي المرأة في المجتمع الكويتي بخاصة والمجتمعات العربية بعامة، وتنبيه القارئ إلى خطورة الاختلال في التعامل مع المرأة في المجتمعات الذكورية، ووأد تطلعاتها، ورسم وعي فكري وجمالي يثير التساؤلات، ويحرض القارئ على تطوير أدواته لاستخلاص فكرة النص التي تشكل المرأة مرجعيته الأولى.

مدخل

يلحظ القارئ في رواية "صمت الفراشات" أنّ الكاتبة ليلى عثمان قد أجادت رسم شخصية المرأة من خلال تقنية الحلم، في مجتمع سادت فيه قيم الذكورة. فأخلصت بهذه التقنية السردية في البحث عن المرأة المهشمة الصامتة التي لا تملك أن تُفصح عن مكنونها في هذا المجتمع، و ليس لها أن تعلن عن مشاعرها وعواطفها؛ فهي عورة، كلّها عورة، وعليها أن تبقى صامتة؛ لأنّ مجتمعاً ذكورياً تتآزر معه الأنثى في وأْد صوتِ الأنثى يقف بكلّ قوته في وجه أصغر مشاريعها.

إنّ الرواية بطبيعتها ومادتها وفلسفتها وبنائها ورؤيتها تجسد لوناً متميزاً من ألوان الحلم في عالم المرأة ألا وهو حلم اليقظة، الذي يمكن بسبره في أحلامها الكشفُ عن عالم تحبُّ فيه المرأة ولا تملك أن تعلن حبّها، وتُزوّج وفق عاداته وتقاليده التي تُمجّد الذكورة؛ لأنّ العيب والعار حواجز وراءها مقدس يُدافع عنه، لا من باعث ديني، إنّما من قبيل موروث، ورثناه، ولم نسمح لأنفسنا أن نحوّر، أو نطوّر فيه شيئا، إذ إنه في تطويره مأزومٌ بمواجهة مجموع قيم وعادات، فقط؛

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت ، المفرق - الأردن.

لأنها تُوورثت وتُنوقلت من السّلف إلى الخلف، فهي قيم وأعراف رسم نواميسَها وطقوسَها وكتبها حبرٌ ذكوريٌ خفيٌ، خالطه بعضُ الترافقات المفروضة أصلا برضا الأنثى، التي لم تستطع أن تقف في مقابل سلطة يفرضها المجتمع أولا، والأب، والأم، والأخ ثانيا. فهل خُلقت الأنثى لتكون مصدر خصب ونماء أو لكي لا تقول لا؟!، أو إنها بإذعانها واستسلامها لواقعها جعلت من نفسها مَسودة لسيّد، وفق علاقة لا جذور لها في شرع مَن خلق النوعين: الذكر والأنثى، وكيف ستهرب من واقعها.

كما تثير الرواية تساؤلات عديدة، تتمحور حول تشكيل الأحلام فيها، وحول الدلالات الكامنة وراءها، ووراء النص برمّته، مثلا: ما المقصود بالحلم؟ وما نوع الحلم الذي رسمته الكاتبة لشخصياتها، وما خصائصه؟ وما دوافعه ودلالاته؟ وهل جسدت الكاتبة رؤيتها للمرأة من خلاله؟ وما منطقها وآلياتها الفنيّة في رسمه؟

لهذا كله، فإنّ رواية "صمت الفراشات" التي تهدف إلى تجسيد تصوير أحلام اليقظة عند المرأة وأثرها في تشكيل شخصيتها - تفرض على القارئ أن يُجيد قراءتها بعمق مرات ومرات، لفهم دلالاتها الكامنة بين السطور، ولتشكيل تصور نقديّ واضح عن تقنية الحلم فيها، وأنواعه ودلالاته التي تتشكل بحلة جديدة في كل قراءة، ولتفسير طبيعة العلاقة الخفية بين الكاتبة والمجتمع، ولرصد التحولات في منظومة المجتمع وأثرها في حياة المرأة في ضوء المنهج الموضوعاتي.

وربما كان من البواعث على اختيار "صمت الفراشات" موضوعا لهذه الدراسة ما تتمتع به هذه الرواية من خصوصيّة نوعيّة مميّزة في مجال التجربة الروائية الجديدة، وما تتسم به من الجرأة في الطرح والتقديم، بكل ما يَحُفها من معوّقات في عالم يقيم العديد من الاعتبارات لقيم أخلاقية ودينية وسياسية واجتماعية. فضلاً عن أنّ الرواية لم تنل حظّها من الدراسات النقدية السابقة، وقد تكون المقالات الآتية أبرز ما قُدّم في مجال دراسة هذه الرواية: "المرأة الجديدة في رواية ليلى عثمان صمت الفراشات" (2007م)[1] لفاطمة المحسن، وتتناول فيها طبيعة المرأة ورؤية المجتمع الخليجي المترف لها كأنثى، ومحاولة تمردها على تقاليده المغلقة. و" قراءة عن صمت الفراشات لليلى عثمان"(2007م)[2] لعبد الرحمن التمارة، ويسرد فيها حياة الفتاة نادية بطلة الرواية ومعاناتها التي تحولت إلى صمت. و" صمت الفراشات – قص الفراشات" (2013م)[3] لعادل الأسطة، يتناول فيها قصة "نادية" الفتاة الكويتية، ويكشف فيها بإيجاز عن واقع المرأة وسرّ صمتها وضعفها في المجتمع العربي من خلال سرده.

العالم الروائي ودلالاته:

تندرج رواية "صمت الفراشات" للكاتبة الكويتية ليلى العثمان تحت عنوان الرواية النِسويّة، وتدور أحداثُها في الكويت، وتصوّر ما تحفل به حياة المرأة الكويتية، من قهر وحرمان، في مجتمع

يراها من خلال قيم الحياة التي تمجّد المادة، وتعلي من شأنها. وتلقي الأضواء على الأسباب التي جعلت المجتمع ينظر إليها نظرة سلبية. وتفتح سردها على موضوع الصمت المفروض الذي لازم البطلة (نادية)؛ صمت ناجم عن مرض أصابها في حنجرتها من جراء إدمانها التدخين بصورة مقلقة ومزعجة، تلك الممارسة لم تأتِ من قبيل الترفيه والتسلية، إنما أتت من مجابهات قوبلت بها نادية الشابة، بدايةً من زواجها من العجوز نايف عنوةً، بُعيد كبتٍ وإرغامٍ من أهلها للقبول والصمت.

وبما أنَّ " فن الرواية, في حدّ ذاته, أقرب الفنون القولية إلى عمليات الوعي الذاتي بمعناها الجمعي والفردي لما تنتجه من رؤى وعي العالم ومقاربة الواقع".[4] فإن الرواية تشير إلى عوالم الجحيم التي تعاني فيها المرأة الكويتية أشد المعاناة؛ إذ إنها تبدأ من بيت الطفولة، وتستمر معها في بيت الزوج إلى الممات، فالأب (محسن) يمارس سلطته المستمدة من مجتمع الذكورة على ابنته نادية، ويُجبرها على الزواج بنايف العجوز. ولا تتوانى الأم (زينب) عن مؤازرة تلك السلطة، وتصبح الأنثى رافدا من روافد قوّة تلك السلطة، التي لا قِبل للأنثى بالصمود في وجهها؛ ولأن الأنثى ترنو إلى أحلامها من خلال الأنثى جسدا وروحا. ولم يتردد محسن في إهانة نادية وضربها لتوافق على الزواج بنايف.

تنتقل نادية من بيت الطفولة حيث الذكريات - وهي على سوئها أجمل من الآتي - إلى قصر نايف. ويبدأ الزمن يزحف مع هذا التغيير، ومعه تصبح الأمكنة معتمةً بفضائها، والناس فيه غير مؤنسين، فكانت أجواء تبعث على الحزن والقهر والصمت، وكان فضاءً لم تتخطّ نادية حدودَه، فهو فضاء رَهْنٌ بواقع مأزوم، لا يعترف بالأنثى كيانا مستقلا، له ما له وعليه ما عليه.

تضطر نادية أمام هول الواقع وصدمته إلى الإذعان لنداء المجتمع. وتنأى بقلبها حاجرة عليه بإرادة ذكورية محضة. نايف وأعوانه؛ من خدم وحراس وعمال، ومَن يأتمر بأمره، كلُّهم حواجز حالت في بداية حياة نادية الزوجية دون استقرارها، بل إنها كانت كوابيس رابضة على صدرها، فالعبد (عطيّة) الذي لا يقوى على رفض أوامر سيده، يقوم بفضّ بكارة نادية ليلة زواجها من نايف تنفيذاً لرغبة سيّده، الذي لم يعد يملك العنفوانَ والقوةَ الكافية لليلة كتلك الليلة. هذا ما يفسّر دعوته للعبد، فهو يعاني من ضعف جنسي يجعله لا يقوى على فض بكارة زوجته فيلجأ لخدمات العبد الوفي الذي لا يفشي له سراً، وهذا ما طلبه ايضاً من زوجته بأن لا تفشي سر تلك الليلة لأحد؛ إذ يقول وهو يدعك شفتيها دعكاً غليظاً: "ها الشفايف الحلوة لو نطقت بشيء سأقطعها!، ثم يردف: "سرّ الليلة لن يعرفه أحد، تعلمي الصمت واعتاديه".[5] وعندما لم يرَ نايف من نادية ذلك الإمتاع الذي يطلبه، فإنه يمعن في إهانتها، ويأمر الخادمة (جورجيت) أن تعلّمها كيف يكون الإمتاع. وترى نادية فعل جورجيت فتزداد حنقاً وحقداً على العجوز الذي يضاجع جورجيت أمامها لتعلمها كيف تكون أنثى، ليؤسسا لحلم الهروب من هذا الجحيم؛ بتخطي عتبات هذا القصر، في خروج يُعيد نادية إلى بيت الطفولة. تقول "نادية: "تهيّأت روحي الفرحة لتسمع

اعتذارها، لكنه قصم فرحتي وهو يواصل كلامه: علشان تعلّمك كيف تكونين أنثى".[6] "ما الذي تفعله تلك المرأة المتجردة من كل خجل؟ كيف تستعذب الفعل دون تباطؤٍ ولا قرف!! صوته الأجشُ وهو مأسورٌ بتوحُش, جسدها يصارع ليخرج إليّ :شوفي.. تعلمي.

هل فقد عقله حتى يتصورني أستطيع مضاهاتها بهذه اللعبة القذرة؟ هل يمكن لي أن ألوّث روحي وجسدي كما تفعل؟ كانت جورجيت أشبه بذئبةٍ جائعة، وكان هو أشبه بالطريدة تستهوي العواء. خمدا. والنار فيّ لم تخمد" [7]، فتندهش "نادية" قائلة: "كيف وهو الفاقد لفحولة الرجال يقدر أن يوزع جسده وهواه بين نساء القصر؟ وهذا العطية المسكين الفاتح الأول لقلاع سيّده الموصدة, يفعل مع كل واحدة ما فعله بي في ليلتي الأولى".[8]

إنها ترضى أن تعود إلى حيث الهدوء والسلامة كامنان على قلتهما، لكنهما مقبولان في مثل هذه الظروف الاستثنائية، إذا ما جعلنا هذا الاستقرار في مقابل بيت الطفولة والقصر. إنها عودة إلى حضن الأم، ورحابة صدر الأب الذي أجبرها على الزواج بنايف، تحت ضغوط الفقر والحاجة، لأنه يعمل في إحدى شركات نايف. ويحتم عليها الهروب أن تُحصّنه من الخطأ؛ فتحدث في القصر ضجة؛ بإشغال الخادمات بأعمال القصر، وانشغال عطية عن البوابة لتأدية صلاة الظهر، جعلها تتسلل برويّة إلى البوابة، ثم تتخطاها مبتعدة عن ذلك السجن، فتركب سيارة أجرة تقلّها إلى بيت أبيها، محدثة مفاجأة ثقيلة لأهلها...لكنها تستطيع تهدئة روع والديها، بعد سرد معاناتها مع نايف وأعوانه.

كانت حياتها حتى هذه اللحظات حافلة بالصمت والحرمان والقهر، إلى أن جاء نبأ وفاة نايف. تبدأ نادية بعدها حياةَ الاستقلال، وبروزَ الذات، وتشكّلَ الهوية الرافضة لقيم مغروسة في أرض مجتمع تُقدَّم فيه الرذيلة على الفضيلة، مجتمع يَسحق فيه الآخر (الذّكر) الأنا (الأنثى) دونما وازع يمنعه، أو يذكّره بالأنا الذي هو جزء رئيس من الوجود، متناسياً وواضعاً خلفه كل ما جاءت به الشرائع السماوية، التي ترفض هذا الطرح المتخلف عن ركب الحضارة.

تبدأ الأحلام التي كانت صغيرة تكبرُ شيئا فشيئا؛ فالأمّ زينب التي كانت ترنو إلى المال تحقّقَ لها ذلك، لكن المال حلال بارد لنادية؛ فبه تحقّقَ لها حلم الدراسة والعمل والشقّة. فشهدت مسيرةُ الأحلام تلك موتَ أحلام، وولادة أُخَر، ونموّ بعضها واكتماله. إذ وُلد حلمُ الدكتور جواد، وتوهمت نادية اكتمالَه، لاصطدامها بمفاجآت واقعِ المجتمع الذكوريّ، الذي لم يغيّره المالُ والعلمُ والدين؛ فهذا الدكتور جواد المتزوج من فتاة أمريكية، يحاول استدراجَ نادية وتحقيقَ ملذاته بعيدا عن الأطر الدينية والمجتمعية، إذ كان يريد من نادية علاقةً من هذا النوع، لكن نادية التي نال منها الذكَرُ (نايف) تريد زواجا لا كما يراه الذكر، تريده مبنيا على تبادُل المشاعر والاحترام.

ثم تحقق نادية حلمها في شقة مستقلة، تطلّ على البحر. يتحقق الحلمُ مع جملة العقبات التي اعترضت طريقه، إنها عقبات مصطنعة من الأب (محسن)، والأم (زينب)، والأخ (فيصل). إلا أنها

أنجزته؛ لأنها لم تعد تلك الراضخة الواهنة، بل أصبحت تخرج من دائرة الصمت المرسومة لها بعناية ذكورية شديدة، خارقةً قواعدَ أُسُسها واهية، إنه تجاوز مسموح نحو الهوية الأنثوية. إذ لم يكن لها خيار إلا أن تأسر قلب الأسرة، من خلال ما يذعنون له أمام حبهم له، إنه المال لا غيره، فقد جعلته حلالا لهم، فكانت أصعبُ الأمور تنقلبُ يسيرة معه، فاشترت نادية الشقة، وسكنت فيها إلى جانب أهلها. سارت تلك الأحلامُ نحو نهايتها السعيدة؛ إذ أعقب حلمَ الدراسة وحلمَ جواد والشقة حلمُ العمل، هذا الحلم الذي كان له الدورُ الفاعلُ في شدّ أزْر تلك الأحلام وتقويتها، للوقوف في وجه عواصف المجتمع التي لا ترحم؛ عواصف تهبّ في غالبها على الأنثى، تنال منها، تُسقطها تارة، وأخرى تئد كلّ آمالها وأحلامها. تعيَّن نادية معلمةً للغة العربية، وتبدأ مشوارَ التدريس، إذ إنها تحب عملَها، وتتعرّفُ بحكم العمل إلى الزميلات والطالبات، وتتعلق بالطالبة عائشة من بين طالبات الفصل.

إنه عالم الرواية الذي لا يحفل, بمزيد اهتمام, إلا بما يخدم لعبته وبناءه المتخيل؛ فعائشة تلميذةُ واجهت سقوطا ذكريا أسريا لا ذنب لها فيه، إنه سقوطُ مارسه الأخ عليها في غياب والديهما؛ إذ عاد إلى البيت وقد تناول مشروبا مُسكِرا، يوقعه في جُرم الزنا بأخته، التي لم تحتمل وقعَ المصيبة، فآثر قلبُها التوقفَ بعد أن ألقت بنفسها من فوق بيتها. لقد تركت تلك الحادثةُ عوارضَ تُرسل سهامَها إلى سويداء قلبِ نادية.

إنّ الرواية، وعبر البطلة نادية، تنوّعُ من معاناة المرأة على امتداد خيط السرد، وهي تخاطب القارئ، وتسعى إلى تنمية قدراته على تفسير الظواهر الاجتماعية، وتشكيل رؤية جديدة لما يحياه في الواقع. فلم يعد اليأس في هذه الرواية هو الخيار المتاح فحسب أمام نادية، إنما صار النهج ماثلا في المحاولة تلو المحاولة، وهذا هو ديدنُ الذات التي تبحث عن الاستقرار والهدوء. فكان خيارُ قلبها التوجّه إلى العبد عطية، الذي رأته مأسورَ الإرادة لا يملك إلا الإذعانَ والطاعة، رأت منه الوفاءَ والحياءَ والعفة، فأقبلت إليه ترعاه وتعلّمه وتحرّره، لا بل إنها جعلته يسكن في بيتٍ قريبٍ منها. تتقرب منه، وتكشف له مكنونَ قلبها، ويبادلها الشعور، لكنّ الواقعَ أقوى من كل هذه المشاعر، فهو يُحيلها إلى عَدَم، فمع كل الأحلام التي تحققت، إلا أنّ هذا الحلمَ في الزواج من عطية العبد لن يكون مسموحا به؛ لأن عطية من طبقة أدنى لا ترتقي إلى الطبقة الأرستقراطية الجديدة التي تنتمي إليها نادية بعد زواجها القسري من الرجل الأرستقراطي المترف والمسن نايف. غير أنّ حقيقة مدوية أطلقها عطية برفض الزواج من سيدته نادية، فهو رفض لزواج يدرك عطية أنه في قبوله له، إنما يخوض غمار معركة مع مجتمع بأسره يجعل نادية تصمت أمامه، فتنتهي أحداث الرواية بصمت مندغمٍ بإنشاده في رفض عطية الزواج منها. إذن، فالمفاجأة تعلنُ نفسها، وتجعلُ الباحث عن الحريّة يصطدم بجدران من الصمت المتطاول منذ أمد بعيد، الضاربة جذوره في سويداء قلب التاريخ.

تشكيل أحلام اليقظة:

تميَّزت رواية "صمت الفراشات" بحضور الحلم المتعمّد في تشكيلها الروائي، فافترش الروايةَ كلّها، وهيمن على مجرى أحداثها، ليمتلك دورَ البطولة فيها متجاوزاً تقنيات السرد الأخرى، فتشكلت به ومنه أحداث الرواية. وسلطت الكاتبة عدسةَ الرواية على نوع خاص من أنواع الأحلام هو أحلام اليقظة التي تعيشها الشخصياتُ بهواجسها وأفكارها، كما كشفتها الأدوات والأساليب الفنية، فنسجت من خلالها عالمَها الروائيَّ المتخيَّل؛ لتجسّد دلالاتٍ خاصةً ومفاهيمَ جديدةً حول أحلام اليقظة، وتكشفَ بها عن "العلاقات الخفية بين الظواهر والأشياء التي تبدو في الظاهر والواقع المعيش- متباعدةً أو متنافرةً أو مألوفةً". [9]

إنّ هذا التّصوّر يظهر في موضوع حلم اليقظة الشائع في النقد الموضوعاتي، الذي يرفض التحليل النفسي؛ لأنه يعيد العمل الأدبي إلى دفينة نفسيّة سابقة له إذ إنّه يفرض تصورا تقليديّا للكاتب المسيطر على مشروعه سيطرة مطلقة. ومع هذا الرفض، فإنّ المقاربة الموضوعاتية لا تفضّل هذه السيطرة، ولا النصيب اللاواعي؛ إنماً تسند حقيقة العمل الأدبي إلى وعي دينامي قيد التشكيل. وليس غريبا أن يعترف ستاروبنسكي (1920 م) في كتابه "جان جاك روسو؛ الشفافية والعائق" بعدم ميله إلى التّقصّي النفسي والطبي المتعلق بالأدباء ".[10] .

من هنا، فإنّ توجّه الموضوعاتيين إلى الفعل الواعي لدى الكاتب أمر مسوّغ، لأنّ العمل الأدبي في هذه الحالة يقوم على القصديّة. وفي هذا الصدد نشير إلى ما ذكره جان إيف تاديه قائلا: "وبما أنّ للعمل الأدبي وظيفة إبداعيّة وكاشفة للذات معا، فإنّ النقد الموضوعاتي يبدي اهتماما خاصّا بفعل الوعي لدى الكاتب. وإذا كان غاستون باشلار (1884-1962 م) يتحدث بهذا المعنى عن "الأنا المفكر الحالم"، فإنّ المفهوم يستعيد بعدا ذهنيّا أكبر عند جورج بوليه، لكنّه يبقى بعيدا جدا عن الأنا المفكر الديكارتي؛ فعبارة "أنا أفكر، إذن أنا موجود"، عند ديكارت تؤسس بصورة يقينيّة وواضحة أنطولوجيا مشتركة بين البشر جميعا. وعلى العكس من ذلك، فالأنا المفكّر عند باشلار وبوليه يفرّد وعيا وعالما مبدعا، بتحديد علاقة خاصّة مع العالم، عن طريق حدس أولي لا يمكن إرجاعه إلى أي حدس آخر ".[11]

إنّ الكوجيتو (الأنا) الذي يقصده الموضوعاتيون في دراساتهم للأعمال الأدبية هو الأنا الحالم، والحالم هنا لا يخصّ الحلم الليلي الذي هو ميدان المحلل النفسي، إنما ما يقصدونه هو حالم أحلام اليقظة. فالتأكيد في أهميّة الوعي، يتطلّب ضرورة وجود فكر حول علاقة مع العالم، وفي ضوء نجاح الفلسفة الحديثة بإقناعنا "بأنّ كلّ وعي لشيء ما، هو نموّ للوعي، زيادة ضوء، تقوية للتماسك النفساني".[12]وحتى تكون الأمور واضحة في سياق طرحنا النظري "فإنّ النقد الموضوعاتي والتحليل النفسي يتعارضان جذريا في مسألة العلاقة بين الذات المبدعة وعملها الأدبي؛ إذ يميل التحليل النفسي إلى اعتبار العمل الأدبي جملة معقدة من الأدلة، تحيل إلى وضع

نفسي سابق، وتلعب دورا تصعيديًا".[13] فالصورة عند فرويد هي أن "يخفي الحالم المتيقظ الاستيهامات بعناية عن الآخرين، لأنّه يشعر بأن ذلك يسبّب له الخجل، وعليها أن تتصف بالفاعليّة السّريّة".[14]

بينما يرى غاستون باشلار أنّه يجب ألا تردّ الصورة إلى تكوّنها وربطها بما يسبقها، بل التقاطها عند ولادتها ومعايشتها في صيرورتها، لهذا فإنّ الإصرار على الإحالة إلى مفهوم الخيال، أكثر ما يدلّ على هذا التوجّه النقدي؛ فهو يسمح للموضوعاتيين بالابتعاد عن التصوير الوظيفي للنفس الإنسانية، واعتبارها ملكة مبدعة ومنجزة؛ إذ يرى باشلار أنّ الخيال ديناميكية منظمة، فالخيال ينظم العالم الخاص للفنان؛ لأنه ظاهرة وجود: " إنّ صورة بسيطة، إن كانت، لقادرة على الكشف عن عالم بأكمله. فالعالم متغير، إذا ما أطللنا عليه من نوافذ الخيال التي لا حصر لها".[15]

إنّ هذا التّصوّر يظهر في موضوع حلم اليقظة الشائع في النقد الموضوعاتي. وحلم اليقظة "هو نشاط حلمي نهاري أنيمي، فبينما يذيب الحلم الليلي الوعي لصالح لغة اللاوعي، يُبقي حلم اليقظة الوعي على درجة معينة من النشاط؛ إذ يأخذ مكانه عند فاصل متذبذب، يعمل فيه الخيال المبدع بكل إمكانياته ".[16] وفي المجال الفينومينولوجي، فإنّ فرقا جذريًا يتحقّق بين الحلم الليلي وأحلام اليقظة؛ فحالم الحلم الليلي هو ظلّ فَقَد أناه، بينما حالم اليقظة، إذا كان فيلسوفًا قليلاً، يستطيع في مركز أناه الحالمة أن يصنع كوجيتو.[17]

إنّنا بهذه القناعات أمام كوجيتو حالم، غير منقسم في جدلية الذات والموضوع، بل إنّ هناك تلازما بين الحلم وعالمه، وهو تلازم قوي. وبذلك فأنّنا أمام وثائق الحلم المتيقظ، وثائق تتشكّل من أحلام اليقظة، يمكن لها أن تهذّب وتصبح سلاما أوليا، فيه ينسّق الحلم الحياة، ويحضّر لقناعات فيها، تنشّط أعصاب المستقبل. ينتقل فيه كوجيتو الحالم ويُعير كينونته للأشياء، للضجيج، وللعطور، وللمكان، وللزمان، وتصبح كينونة العالم مجتمعة شاعرية حول كوجيتو حالم. سهل، صادق، مرتبط بشكل طبيعي بمفعول به. يؤدي إلى اتصال كينوني في الاتجاهين بين الحالم وعالمه. ففي أحلام اليقظة إخلاص للشيء المألوف، وفيها تلقٍ ثابت ومطمئن لوجوده. وعلى هذا، فسوف تتأمل الدراسة الحالية أحلامَ اليقظة المتنوعة لدى الشخصيات الروائية؛ لتلقي الأضواء على أسبابها، ودلالاتها، وأثر المجتمع في تشكيلها، وعلاقة ذات الكاتبة فيها، ومدى تفاعل القارئ معها.

التأمل في حلم زينب (الأم):

إنّ الصورة المتأملة في حلم زينب، تنشدّ إليها خيوطُ أحلام اليقظة في رواية الكاتبة ليلى العثمان "صمت الفراشات"؛ فزينب الفتاة الحلبيّة، ذات الربيع السابع عشر، تتزوج بمحسن الشاب الكويتي، إذ إن الفارق العمري بينهما غير كبير، ومع محاولة أمها تزويجها ابن خالتها، إلاّ أن الحبَّ

قد تسرّب إلى قلب زينب، عندما كانت تختلس النظر والابتسامات المتبادلة مع محسن، فالحب قد نسج خيوطه سريعا. ومع رفض أمّها ومحاولاتها هدم بنيان ذلك الصرح الروحي، إلاّ أن إرادة المحبين تحققت؛ تذكر الساردة: "وافق أبي لكن أمّي رغم حبها لعائلته صاحت وناحت: "كيف تغرّب البنت؟". كنت أراقبها من شقّ الباب خاصة، أنتفضُ خائفة أن تؤثر على أبي... كان الحبّ قد ترسّخ في قلبي المراهق... لكنّ قلبي ارتاح حين بدا صوت أبي حازما واثقا، وهو يتمسّك بقراره قال:" ناس طيبين، أحوالهم جيدة، يحبون البنت"... تحججت أمي: "يمكن البنت تريد ابن خالتها". "عوج أبي شفتيه هازئا من غفلتها:" مصيبة إنك لم تشعري بميل ابنتك إلى محسن".[18]

مع أن الأنثى رأت سعادتها وحبها، إلا أن هذه الحقيقة لا تكتمل دوائرها إلا بتدخّل من الرجل والأنثى على حدّ السواء، الرجل لأنه الأب وصاحب سلطة، والأنثى (الأم) صاحبة العطف والحنان وتجور على الأنثى أحيانا، لكننا هنا نرى المفارقة فيما تريده الأنثى للأنثى. فالأم وهي أنثى حاولت أن تثني الأب عن قراره، لكن الأمر ينحلّ، وتسافر زينب مع محسن إلى الكويت، ودموعها على خدّيها، خارجة من حلب إلى دوحة محسن. ويأتي دور الأنثى زينب، لتمارس السلطة المفقودة والمسلوبة منها (الأنثى). وترسم مع محسن حدود مشاريع ناديا الشابة، لتكون زوجة لنايف العجوز، أملا بميراثه العظيم، ويأتي الكشف عن حلم الأم، من خلال حديث نادية مع أمها بعد صراع، صارت نادية فيه رافضة للاستسلام والنكوص بعد موت نايف، ومحاولات الأم والأخوة في كفها عن متابعة تحقيق أحلامها في الدراسة والعمل والزواج بمن تحب؛ إذ قالت نادية مخاطبة أمها:" أم هل نسيتِ أنك أرغمتني على الزواج من نايف؟ نسيتِ ما قلتِهِ " بكرا بيموت وترثيه "نسيتِ يوم ألقيتُ بالمصاغات أمامك، فهويت على الأرض بعينين زائغتين تقلبين الثروة؟"[19].

فالأم تمارس القهر والسلطة، ولا تملك الأنثى إلاّ أن تصمت، لتحقيق أحلام وطموحات ومشاريع على حسابها، لكنّ المفارقة في ما تحلم فيه الأنثى للأنثى، على سوء تلك الأحلام، فإنها كانت في رواية " صمت الفراشات " مبتدأ، يعيش في وعي الأنثى الغائب لتحقيق أحلام نادية؛ فنادية أُرغمت على الزواج من نايف، وفرض عليها صمت من الأم، والأب، وفيصل، والمجتمع على السواء.

تشاء الأقدار أن يموت نايف العجوز، وترث نادية القصر والأموال والأملاك، إنها الآن تحقق حلم أمها (زينب)، لكنّ نادية تحرم أمها من استمرار متعتها في ذلك الحلم، الذي كانت فيه جسراً لتعبره زينب إلى القصر والميراث، وتكون المفاجأة من نادية؛ بأن نادية الصامتة لم تعد كما كانت، فهي الآن مالكة لتصرفاتها، وتأتي النتائج صريحة بحوار نادية مع أمها:

" ـ ماما... هل أنت سعيدة ؟

"ـ وليش لأ... وأحلام بنتي قد تحققت "

قلت بصوت لا يخلو من الحزن:

ـ كان هذا على حساب حلمك". [20]

صار حلم زينب في الحياة الكريمة الهانئة ملكا لابنتها نادية، ملكا غير مستساغ، سبقته ممارسات أمعنت في إذلال وإهانة نادية، حُبس لسانُها لأربع سنوات إلاّ ثلاثة أشهر، صامتة تعاني من سلطة الذكر (نايف)، ذلك الذكر الذي يرى الأنثى من خلال جسدها لا جوهرها، لقد عُوملت كأيّ قطعة أثاث في القصر، يستعملها حين يزداد شبقه الجنسي، إن لم تؤدِ دورها على الوجه المطلوب تنهال عليها الإهانات من الذكر والأنثى؛ إنّ جورجيت (مدبّرة أعمال القصر) تحقق له الارتواء من ظمأ الشبق، فهي فتاة (حارّة)، أما نادية فهي لوح ثلج، تلك الممارسات في حق الأنثى شكلت جملة حوافز لها، لتؤسس لذات حالمة، حتى حينما كانت مع نايف في القصر زوجة له.

تأملات في أحلام نادية:

نادية الفتاة الكويتية، بطلة رواية "صمت الفراشات"، التي تعبّر الكاتبة عبرها عن هموم الأنثى، وطموحاتها، ومشاريعها. وتفتتح الرواية الحديثَ عنها، من خلال صمت يفرضه الطبيب عليها، يجب أن تلازمه، حتى زوال ذلك الورم الكامن في حنجرتها، من جرّاء إدمان التدخين، الذي مارسته نادية، عندما أصابتها المآسي، منذ زواجها من نايف العجوز، وبعد فشل بعض مشاريعها، وبُعيد وفاة أبيها (محسن).

تختصر أحلامها وطموحاتها، بعد حصار الصمت والخرس، الذي تضافرت جهود المجتمع، والأم، وفيصل، في إحكام قبضته على حنجرتها، تقول نادية: "سَرَحْت أجدّل أحلامي المنفرطة: التحاقي بالجامعة، العمل، حلمي بالسكن وحدي في شقّة صغيرة تطلّ على دفء البحر، وصفائه في الصيف" [21].

يكشف السرد الروائي والحوارات الداخلية المتلاحقة والتداعيات في حياة نادية الخيالية والمتخيّلة تواصل أحلام اليقظة وتناسلها، فالواحد منها يستدعي الآخر في خيالها الخصب بعد أن حاولت – بمساعدة الطبيب- إطلاق صوتها بهدوء، فشعرت بأن الحياة حلوة وواسعة، لتحقيق أحلامها " وتؤكد بأنّ الحياة حديقة بلا حدود تتسع لكل الأحلام وتهديني علباً من الحلوى". [22] فبدأت تلك الأحلام تتدلّى، وتغرس نفسها في أرض طينية، وصارت تنمو على نحو متسارع بعيد وفاة نايف. والآن، جاء دورها لتشجّرها بالشكل الذي تريد "الآن دوري أن أشجر أحلامي بالشكل الذي أريد، انتهى زمن الصمت والخنوع، إن استسلمت لأي أمر منذ البداية، أكون بذلك فتحت قبراً جديداً لشبابي، لحريّتي، ولأحلامي الشاسعة". [23]

حلم الهروب:

أُثقلت نادية بأحمال لم تكن مسؤولة عن حَملها؛ لأنها كانت مجبرة على الزواج من نايف (العجوز)، وكانت ممارسات العجوز وثيقة وسنداً، يؤسسان لحلّ أنثوي، وُضعت فيه بتخطيط ذكوري أنثويّ في آن؛ فنادية الفتاة الحالمة، ترفض أن تنقاد للمجتمع، بعد أن ذاقت الأمرّين من

السجن بقصر نايف الثري، فليس عجيباً أن تتخلى عن زخرف الحياة وكمالياتها في سبيل حلمها، الذي بدأت معالمه تتضح لنادية، التي احتكمت إلى عقلها احتكاماً واعياً، يؤسّس لنجاح حتميّ محدود، وفق ما تنسجه الساردة في الرواية.

إنّ الوعي مقرون بإيمان صادق بأن الله سيكون موفقا لها كمال ذلك الحلم، الذي كان لبنة في بناء أحلامها: "وجدتني أهمس بكل ما أوتيت من احتياج لخالق الأرض والسماء "يا رب... ." التمعت نجمة، كرّرت " يا رب ". ومع نهاية الأذان " لا إله إلا الله " شعرت وكأنّ ضفائر النور مدلّاة نحوي"[24]. كانت نادية تنأى بعاطفتها قليلا، ليكون لها ما حلمت به. وبدأت بنسج خيوط حلمها بإتقان وتصميم شديدين، فعطيّة (العبد) سيكون مفتاح التحقق، لم تتردد في محاولة أسر عاطفته، والجلوس معه في الحديقة، وتبادل أطراف الحديث "لم يتبق عليّ إلا أن أكسب صداقة العبد، بيده وحده يكمن صك أحلامي وتحرير روحي" [25].

إنّ يقين نادية بالهرب، جعلها تقترب أكثر فأكثر من العبد (عطيّة)؛ تتفحص حياته ومشاعره، وتلاطفه بالكلام، بل إنها حاولت استفزازه في لحظات معينة، كي ترى وتتحسس نسب نجاح ما تحلم فيه؛ فكان الحوار وسيلة من وسائلها لنيل ما تريد، تقول نادية: "عدت أواصل لعبتي:

ـ أنتَ سعيد بحياتك ؟

ـ وهل ينقصني شيء ؟

أزعجني ردّه، هل حقا هو مقتنع أن لا شيء ينقصه، أم هو شعور بضآلة مكانته ؟ سألته:

ـ وحريتك ؟

فجرّ بضحكة غريبة:

ـ هل ترينني محبوسا في قفص ؟" [26].

ويصل الحوار إلى الخصوصيات؛ فتسأله عن حبه لاسمه، وعن أمّه وأبيه، فيردّ قائلا:

" ـ لقد ارتاحا.

ـ من أي شيء ؟

ـ كان سيّدي يضربهما بالسوط أمام عينيّ... كنت أراهما يتألمان وهو يدمي جسديهما. لكنّك فعلت بي ما كرهته لأمك وأبيك.

انتفض، انحنى، شدّ كفيّ، هوى عليهما وصوته الباكي:

ـ سامحيني سيّدتي."[27].

وبدأت نادية في شحنه بالكراهية ضدّ سيده، ووصلت في النهاية، إلى اعترافه بأن ما قام به ظلم، إذ بدأ عصفور النجاة يرفرف في صدرها، فهدّأت من روعه، وطلبت منه المساعدة، لكنه

رفض أن يساعدها في الهرب خوفا من سيّده. فكان الرفض تهشيما لبعض أضلاع حلمها الذي ترنّم في صدرها" من لي بريش طير يكسو جلدتي فأطير"[28].

كان الحلم يفرض عليها أن تبني فضاء تُسّور به هذا الحلم ليتحقق، فقامت بإحداث ضجة في القصر؛ بأن أشغلت الخادمات في التنظيف والقيام بمهامهنّ، يعقبه تسلّلها إلى البوابة الحديدية، فحارسها الآن يؤدي صلاة الظهر. فتنجح... وتنجو... وتتحرر... وتسرع بعيدا عن البوابة، وتستقل سيارة أجرة توصلها إلى بيت أبيها. تعود نادية في بيت أبيها إلى بيت الطفولة؛ حيث النسيم في غرفتها خليط من الوحدة والأماني والحريّة. لقد رصّ الحلم بنيان لبناته لأحلام أعظم هدوء وراحة إن تحققت.

حلم الدّراسة:

بدأ حلم نادية بالدراسة قبيل اتخاذ أبيها قرار تزويجها من الثري (نايف)، ومع أنها صمتت كثيرا وجوبهت بالصدّ والردّ، فقد كان مسلسل الصمت يخيم على حياتها في أسوأ لحظاتها وأسعدها؛ إذ إنّه ممنهج وفق تقاليد مجتمع آيل للسقوط، تقول نادية: "كلهم كان يأمرني بالصمت. كانت أمي حين تختلف معي على شأن حتى وإن كان يخصني، تضغط سبابتها على شفتيها وتقول: "اصمتي واسمعيني". أبي له طريقته الخاصّة في إصدار الأمر بالصمت. مجرّد أن يلمح إشارة اعتراض على وجهي؛ يصفق بكفيه، فأفهم أن عليّ ابتلاع الكلام وصوتي. لم يكن أخي أرحم... يصرخ في وجهي " اصمتي ولا تتدخلي". حتى المعلّمة التي يُفترض أنّها المربية الفاضلة ضاقت بجدالي المتكرر.... عاقبتني بطرق شتّى، فتعلّمتُ الصمت في حضرتها".[29]

إننا أمام صمت يفرضه مجتمع بأسره على الأنثى؛ فنادية هنا، لا تطرح قضية فردية، إنما تطرح هموم المرأة وطرق إسكاتها. فالصمت يتنوع بين مفروض من الخارج، وصمت ذاتي داخلي، والصمت المفروض خارجيا مزعج ومقلق لها، أما ذلك الصمت الذاتي فهو نوعان: صمت مطلوب للشفاء باتباع وصايا الطبيب، وصمت آخر تفرضه النهارات، إنه الصمت المعقوب بالسعادة والصفاء والراحة، صمت تضفيه النهارات على أحلام اليقظة لنادية، يجعلها تقف بشجاعة موهومة ناطقة لأبيها:

" ـ لن أتزوج. سألتحق بالجامعة.

ـ لن تدخلي الجامعة. ستتزوجين " [30].

والأنثى بطبيعتها الهادئة المستسلمة، تميل إلى الإفصاح عن أحلامها لنوعها؛ فما كان من نادية إلا أن بحثت عمّن يساندها، فكان الإفصاح بداية لإيمان؛ زوجة أخيها فيصل: "سأبدأ حياتي يا إيمان: أول شيء سأكمل تعليمي"[31]. ومن ثم يساندها فيصل، طامعا بالمال الذي تربعت نادية على عرشه بموت نايف، وعند احتدام النقاش مع الأسرة بأحلام نادية، يقف فيصل إلى جوارها، قائلا: "لنادية أحلام قتلتموها. دعوها تغفر لكما حين تحققهما".[32] وبإزاء المساندات

التي تظهر، تضطر الأم إلى الرضوخ لرغبة نادية، إذ تقول: "بدك تشوفي مستقبلك، الجامعة كانت حلمك".[33]

كل هذه التنازلات لنادية، لم تكن لتتحقق لولا أنها حققت حلم أمها، وصارت سيدة القصر ووريثة مال نايف. ولكن هل سيستمر سيل هذه التنازلات لنادية أو أن لها سقفا لا تملك الأنثى وأن كانت مستقلة ماليا، وسكنا، وعملا أن تعبرها إلى ما هو أعلى وأغلى؟ أو أن رأسها سيُشجّ دونما رحمة، إنْ حاولت حتى الوصول إلى شواطئ التفكير في أمر محال لها، في ظل مجتمع لا يؤمن بالمرأة كيانا مستقلا، وإنسانا له شعوره وعواطفه وأحاسيسه الخاصة التي قد تؤلف مشروعا خاصا أسمى من كل ما دونه من مشاريع، لا تحقق للروح سعادتها وطمأنينتها؟.

تنهي نادية الجامعة، وتُعيّن معلمة للغة العربية، وتتواصل مع طلبتها وزميلاتها في الفصل والمدرسة. وتنشدّ إلى علاقة حبّ، سببها الوفاء للسيد، والطاعة له، والنبل الذي رأته من عطيّة؛ عبد نايف، وتصرّ عليه حتى ينال حريته، بأن يبدأ بالتعليم، لتكمل نادية بدورها حبك حلم اليقظة. ويواظب عطية على الدراسة والمتابعة، بالتحضير والقيام بالواجبات، وتشرف نادية عليه، حتى حصوله على الشهادة الابتدائية، إنه موعد مضروب وشرط لزواج عطية، إذ يتزامن هذا مع نبأ وفاة أبي نادية، مما يشغلها حينا عن عطية وحلمه.

ينعقد حلم اليقظة في الدراسة بفعل القراءة في رواية كاتبة جريئة، ليحل مشاكل الأنا وهمومها في ميدان الكتابة، وهذا التوجّه يشكل جزئية من البحث عن حلول مشاريع الأنا، في مخاطبة النخبة من المجتمع، تقول نادية: "جلست في صالة الانتظار أقطع الوقت بقراءة رواية لكاتبة جريئة...أقلّب السطور...منجذبة لهذا التطريز المتقن ما بين لغة شاعرية وحوارات رشيقة... كانت تجلس أمامي امرأة منقّبة حدّقت في غلاف الكتاب...لامسَتِ الكتاب بأطراف أصابعها... وبصوت عدائيّ سألتْ:

- ما الذي يعجبك بهذه الكاتبة الفاجرة؟"[34]

تومئ الكاتبة على لسان البطلة نادية إلى مسألة جهل الأنثى، وعدم الغوص فيما تطرحه نظيرتها من هموم، هي هموم الأنثى سواء أكانت جاهلةً أو عالمةً، مثقفةً أو أديبةً، ربّة منزل أو مطلقةً، أرملة...إلى غير ذلك. إن الحكم جاء سطحياً من تلك المنقّبة، نحن في مثل هذه الحالات، في مواجهة مجتمع يرفض الإفصاح عن نفسه حتى من جانب الأنثى، هل تملك الأنثى الجرأة في إزاحة الحجاب عن وجه المجتمع، وتعرية جسده، وكشف عوراته؟ إننا بهذه المفارقات، نضع قضية الأنثى على المحك.

ولم يكتفِ هذا المجتمع بمحاصرة الأنثى بصمت قاتل في واقع معيش من حياتها، إنما يلاحقها في أدبها وكتاباتها؛ صمت قاتل جعل من تلميذات نادية ضحية لممارساته الرعوية؛ فها هي عائشة تفاجئ المجتمع ومعلمتها نادية؛ بأن تلقي بنفسها من على السطح، وتنتحر، لتستر على

جرم لذكر هو أخوها، كان منه بعد أن خلت له الأجواء، بسفر والديه، بأن يدخل إلى المنزل غائب العقل؛ لتناوله مشروبا مسكرا، ويواقع بفعل الزنا أخته. في مثل هذه الحالات يصمت المجتمع على أفعال الذكر، ولا يراها عورة، إنما المسؤولية دوما ملقاة على عاتق الأنثى. وفي مثل هذه الأمور في نظره تمس قداسة رعويته، التي لم يأتِ بها شرع من عند الله عزّ وجلّ. فكيف لنا تشكيل ذات وهوية لا يحققها ضيم وسلب لحرية الأنثى التي هي نصفنا، أبينا أم رضينا؟!

حلم الشقّة:

العزلة والوحدة والهدوء الصفاء عوالم تتشكل فيها أحلام اليقظة، التي تمنحنا سلاما وسعادة أبديين. يشدّ خيوط هذا الحلم ويزيدها منعة ذلك المكان، حيث الروح تنعم بوسائل الراحة والهدوء والطمأنينة. وحلم اليقظة بحسب غاستون باشلار هو حلم أنثوي؛ لأن الطاقة الأنثوية تفعل فعلها فيه، وتجعله ينساب إلى الأعماق بلا سقوط. ويسطّر في صفحاته دموعا مكتوبة، وحزنا مريحا تعود فيه الروح إلى أوّليّاتها.

ولكي تحقق نادية هذه المتطلبات الأساسية لتجعل من ذاتها ذاتاً، فإن عليها أن تحلم بوحدة وعزلة. فمنذ رحيل نايف، صارت تتكشّف الحُجُب عن عوالم هذا الحلم؛ فالمال موجود وليس الأمر صعبا. إنّ شقّة تطلّ على البحر، تُؤَثّث وفق حلمها النهاري، تنأى فيه بنفسها بعيدا عن مرابض الأحلام الليلية، التي فرّخت لها في كل مساء، منذ أربعة سنوات إلا ثلاثة أشهر أسوأ الأحلام، ومُورست عليها في قصره أقوى أسلحة الصمت كتما. فهي تريد الابتعاد عن جدرانه وسياطه، وغرفة النوم الموحشة، ففيها بقاياه، تمتلئ أحلامها بالديدان التي تذكرها بالقبر، كرهت ألوان جدرانه الرمادية، والعصافير صامتة فيه. لقد استطاعت الكاتبة من خلال الوصف والاستعارات أن تعطل الحياة، وعناصر الوجود، لتنقل ما تعانيه إلى ما حولها، ليكون هذا التكنيك تفريغا، وراحة لتلك النفس المضطربة.

شهدت المرحلة التي أعقبت وفاة نايف، محاولات من الأم (زينب)، لجعل نادية ممسكة بالقصر، لكنّ نادية في كل محاولة كانت تخيب ظنّ أمها. فتركت القصر، وبعد مضي أسبوع على تركه يبدأ تشكّل معالم الحلم بالوحدة؛ تقول نادية: " ثمّ خرجت عن قراري الرهيب:

ـ سأستقلّ في شقّة على البحر".[35]

وبعد مصادمة عنيفة مع أمها، باعثها الخوف على ابنتها الأرملة، يقف فيصل مسانداً لها، فتكون المحاورة التصالحية مع الأم والأب، ويوافق الأب، قائلا لها:

" ـ شوفي بابا، إن كانت رغبتك في شقّة على البحر، فأنت قادرة على ذلك، دون تعريض نفسك للأذى والكلام".[36]

كان ما يهمّها رؤية (الروف) الذي ستسكنه، غرفة نومها ستكون مرابض أحلام يقظتها؛ لهذا سارعت في تغيير لون جدرانها الرمادي، الذي يذكرها بمساءات القهر والصمت، فجعلتها بيضاء

كالغيم. ترسم خارطة أثاثها قائلة: "اخترت لشقتي أفتح الألوان وأزهاها، ملأتها بالنباتات والزهور، وأقفاص العصافير ذات الأصوات المغردة".[37] إنها الأجواء التي تبعث فيها الصمت اللذيذ، وتهيئ النموّ لأحلام يقظة نادية، التي كثيرا ما شَغَلتْها وأبطأت نموها زمنا. وصار الأمر للحلم الكبير، الذي سيصغر أمام تحديات المجتمع وقيوده وأعرافه، فالمجتمع يفرض على أفراده وعناصره في أحايين كثيرة سلطةَ القداسة.

حلما الحب:

كانت الأحلام السابقة أثاثا فاخراً ومدخلاً سلسلاً، أرادت نادية من خلالهما العبور إلى حلم كل أنثى، تحمل قلباً صافياً، وجسداً ناعماً، وروحاً هادئة، أن تحلم بالآخر (الذكر)، حلما يؤسس لحياة تقوم على الوفاء المتبادل والحب الدائم. كثيرات تلك اللواتي يفترضن هذه الحياة المثال، وجميل أن نضع أصابعنا في مجتمعاتنا على هذه الآلام والآمال. لكن هذه الفرضية تفترض آخر يؤمن بهذا الحب، ومجتمعاً ينحاز له، إذا ما أراد أن تكون الحياة في مرابضها الهانئة، دونما تعثّر أو وقوع في حبائل مصائده، التي نصبها مؤسسوه، ولم يخبرونا بحقولها، أو حتى بخرائط حقولها، أو إنه جعل لها شِفرات خاصة، لا يفضّ أسرارها إلّا الآخر؛ لأنّ انهيارها على أسواره نهاية محتومة، ولكل من أرادت أن تتجاوز ما لا يسمح له به الآخر. وفق ما اختطه السابقون؛ في تأسيس بنيان مجتمع رعوي، على امتداد وطن الضاد /الوطن العربي.

الحلم الأول: (جواد):

إنّه حلم جديد؛ حلم الدراسة باب إليه، ومن خلال متابعة نادية لتعليمها الجامعي كان لها أن تلتقي الدكتور جواد؛ المتزوج من أمريكية، أنجب منها ابناً، هو في التاسعة من عمره، ويقيم معها. وتبدأ نادية بالحديث عن حلمها في جواد، إذ تقول: "هكذا هسَني الحب في خطوته الأولى. شيء كنتُ أجهل حدائقه حتى دخلتها، فأدركتُ أن جمال الحرية والحياة لا يكتمل إلا بهذا النور الساطع، الذي يجلو عن الروح صدأها ويعقّمها ... لقد اعشوشب في طين قلبي نبت أخضر... لم أكن أدري أن لي قلبا فيه أجراس ذهبية تلمع وترق... امتطت الشهور بيننا... كان الحب يتنامى، يتألق معلنا خباياه بطرق شتىّ، لكننّا نخادعه بلعبة الصمت الزائف".[38]

صمت أنثوي هادئ ووديع، وصمت ذكوري، يكشف فيما بعد عن نوايا خبيثة لدى الدكتور جواد، الذي لا يريد أن تكون علاقته بنادية علاقة وفاء كما تريدها. إنه يريدها للتسلية والمتعة. وبعد معرفة فيصل بخروج نادية مع جواد سراً، فقد حذّرها مراراً، أنّ لجواد علاقات غرامية مع طالبات عديدات يشاركنه السهر في الأماكن التي يصحبها إليها، وطلب منها أن تكون حذرة في علاقتها به ولا تسمح له أن يستغلها. ثَّم ما كان من نادية إلا أن أفصحت لأمها عن علاقتها بجواد، فالأم بدورها تريد حماية المجتمع من هفوات الأنثى، كما تراها الأم. فتطلب منها الحذر وتوخّي الحيطة، ولكن نادية لا تستجيب لصوت الأنثى، إلا بعد محاولات جواد إغواءها، بدعوتها للخروج

عن أعراف الدين والمجتمع، وفي محاولة تقبّلها، والتواصل مع جسدها بطريقة غير مشروعة، لكنها ترفض؛ لأنها تؤمن أنّها لن تفعل ذلك إلا بالطريقة الشرعية، فيقول لها: "مِمّ تخافين؟ أنتِ أرملة، من حقك أن تستمتعي ما دمتِ تحبّين،"[39]، فتردّ قائلة: "زوجتك هناك وحدها كالأرملة، هل من حقها أن تستمتع مع أحد غيرك؟" فيقول: "زوجتي تحبني ولا تفعل هذا(...)، لو فعلت أقتلها" [40]. فتصدم نادية بجواد بعد أن اكتشفت حقيقته، فجواد المتعلم صاحب المنصب الرفيع لا يرى في المرأة إلا مصدراً لمتعته، وإشباعاً لغرائزه؛ فتقرر قطع علاقتها به، فتقول البطلة في أحد حواراتها مخاطبة جواد: "هاجسك الجسد والمتعة، تريد أن تحرّض الأرملة المحرومة لتشق ستائرها وتصير عشيقة لك، تريد أن تحوّل عفّة الحبّ إلى وحل الخطيئة، وأنا لست قابلة للامتلاك"[41].

وتكشف لها السماء عن زيف تلك الأوهام، التي سيطرت على قلبها، فكانت الخيانة نظير الوفاء الأنثوي، فاتحة أبواب الجحيم على جواد والرجال. ويرضى قلبها العزوف كلياً عن هذا المشروع غير المتكافئ، بين أنا وفيّة وآخر مداهن، "جواد رجل لا يعرف الحبّ. فلا تسحبك موجته. كوني قويّة وحذرة...أنت لست الوحيدة التي يصحبها في زياراته. جواد يعرف كثيرات غيرك ... إن كنت الرجل القادر على إشعال فتائلي فلن أهبك جسداً لا يخضع لقانون المجتمع وشرع الله... اضطربت روحي ، تورّم الصمت فجأة فأورم حقدي. صار ثورة يمتدّ كل سعيرها إلى جواد راغبة أن تحرقه، هل يُطفأ الحبّ في لحظة أم تراه يكبو ثم يهب من هول عثرته"[42].

الحلم الثاني: (عطيّة):

كانت نادية تعاني في صغرها ريالة تنقط من فمها، مُصاب ضاقت به أمها، وخشيت أن يستمرّ ويكبر معها، "ولم يفد أيُّ علاج، حتى قالت لها إحدى النساء المسنّات: أن لا شيء سيفيد، إلاّ أن يُقبّلني عبد في شفتيّ بعد صلاة الجمعة".[43] فالعبد يعيش في وعي نادية منذ كانت صغيرة، وعامل الزمن يبثّ الروح في حلم اليقظة، التي أحبت فيه نادية عطية (العبد)، بعد أن رأت منه الوفاء، وبعد أن كان الفشل مآلا مؤلما في تجربتها مع جواد. تتذكر نادية ذلك الجسد الأسود اللامع: "عنق ثخين يرتكز على كتفين عريضتين، صدر عار من الشعر؛ ينفرش عليه نهدان منتفخان، تتوّجهما حلمتان كبيرتان، بحجم حبة العنب الأسود..."[44].

إنه تحوّل قاده قلب ذو مشاعر حسّاسة, صار يبني حلما على رؤوس سنابل، لا تقوى على الصمود في وجه أضعف النسمات، لكنّه حلم فتاة صادقة في حبيّها: الأول والثاني، فهل يرضى عطيّة أن يكون زوجا لها؟ وكيف تسعى نادية للزواج منه بعد أن نفذ قرار سيده نايف بفض بكارتها ليلة الدخلة الأولى، الذي بات عاجزا عن القيام بذلك؟! ومع ذلك، فقد فرض عليها هذا الميلُ مزيداً من الاهتمام بعطية، لقد حملت له كيساً مليئا بالصابون المعطر، والكولونيا وأصناف مزيلات العرق، ثم إنّها حررته من أميّة لاصقته زمنا، وجعلته قريباً منها؛ بجوارها هناك في الشقة

الكبيرة، جعلت له شقة، ووضعت في مطبخها كرسيين اثنين، لا ثالث لهما. وتسرّب الحبّ إلى قلب نادية بسلاسة ونعومة، فتصرّح بذلك قائلة: "أحببت عطية ذلك الحب الدافئ الحنون، دلّلتُه، أكرمته باللباس، والمعاملة، والخوف عليه، كنت أرتعب حين يشتكي من صداع، أو برد، أو وجع في معدته... ورغم خوفي عليه، كان ينبض في داخلي شعور الفرح والامتنان. كنت أدرك كم يحبني..."[45].

ولعل في هذه المشاعر تبريراً لرفضها خطّابها الكثيرين حسبما تقول: "كان ذلك الشعور الذي يدفعني للمقارنة بين الخُطّاب وعطية يقلقني ويفتح نحوه مشاعر أعرف أنّها مستحيلة لكنها بدأت تغزوني وتحرك نكوص قلبي، فلا أجرؤ أن أبوح بها لأحد"[46]، وقد كانت عندما تخلو إلى نفسها تتساءل عن سبب ما فعلته لعطية وتجيب قائلة: "شفقة عليه (...)، فأين سيذهب بعد أن اعتاد حياة القصر والسيد؟ كان هذا دافعا حرّك ضميري نحوه مشفوعا بدافع أكبر أنني احببت عطية وأكبرت فيه وفاءه لسيده، رغم الذي عاناه من توارث واضطهاد، فتوسمت أن يكون وفياً لي ايضاً" [47].

وتبيّن نادية إعجابها الشديد بعطية ومشاعرها الدافئة نحوه بواسطة كثير من أحلام يقظتها، إذ تتخيل عطية وهو يداعبها فتقول: "صار يداعب الأوراق بلهفة وكأنه يريد أن يعرف سرّ كلّ ورقة، وأنا أتمرّغ في غيبوبتي, وأدفق آهاتي قبل أن يدفق إليّ مياه الجداول, وأطلق شهقتي العالية"[48]. وتتوالى أحلامها الجنسية مع عطيّة، وحين تصحو تأخذ تتأمل جسدها عارية في المرآة وهي تعبّر عن حرمانها الجنسي، فنسمعها تقول: "شعرت بالشفقة على نفسي، كيف لامرأة مثلي في ريعانها أن تُحرم من يد ترشّ بالعطر وتفتح وريقاتها المنطوية"[49]. تؤرقها تلك الاحلام وتتساءل عندما تصحو: "هل أحبّ عطية فعلاً أم هي فورة الجسد التي أوقدها حلم تلك الليلة؟"[50]، فلا تجد إجابات شافية، وتصير إلى حالة لم تكن عليها، وتلاحظ أمها ما طرأ عليها من تغيير وأرق، فتدّعي أنها هموم المدرسة والطالبات.

اهتمت نادية البطلة بجسدها وتوهّجه من جديد بعد لقاءاتها الكثيرة مع عطيّة، مما دفعها إلى تأمل جسدها في المرآة، فتقول: "أيقنتُ أنّ لي جسداً لا يزال بضّاً يحتاج ويهتاج، وله الحق أن يبحث عن وسيلة ترشه بالملح والندى، فصارت الليالي مرابض لأحلام اليقظة التي تجذبني إلى كمينها المضيء فأغوص فيها بلا حذر مع عطية" [51]. فالبطلة نادية تعاني من فراغ روحي ونفسي وعاطفي ووجداني وجنسي، افتقدته في عائلتها، ولم تجده عند زوجها العجوز الغني، لكنها وجدته عند عطيّة العبد، فقد وجدت عنده الحب والحنان والعفة والصدق في التعامل، والإخلاص والتواضع وتحقيق أحلامها وإشباع رغباتها المتقدة، ووفاءه لها، دون أن يكون عنده طمع في مال وجاه ومكانة اجتماعية كان يفتقدها، رغم أنها قدمت له المال والشقة بل ونفسها؛ لكنه لم يستغلها ولم يسعَ لها، فهو شخص متواضع صادق لم يستغل ضعفها وأنوثتها وغناها مثل عائلتها، التي

استغلت أنوثتها لتحقيق الأهداف المادية والاجتماعية، ونايف العجوز والرجل المترف، الذي استغل جمالها وأنوثتها وفقرها لإشباع رغباته الجسدية، وجواد المتعلم، الذي استغل فيها عاطفتها وضعفها لتعويض الفراغ الذي ولد عنده بسبب بعد زوجته الأمريكية عنه.

كما أنَّ خوف نادية من خوض تجربة الحرية والعيش وحدها مستقلة عن عائلتها، بعد خوضها تجربة زواج فاشل وتحرّرها من قيوده، حيّرتها وخوّفتها، مما جعلها تتمسك بعطيَّة، فهي تشعر أنه سوف يرعاها ويهتم بها، ولن يخونها، تقول في أحد حواراتها: "هل أنا قادرة حقاً على المضي وحدي في الدروب الشائكة؟"[52]. إضافة إلى ذلك، فالكاتبة تحمل رؤية جسدتها في النص الروائي، تنادي بإزالة الفوارق الطبقية في المجتمع، والاهتمام بالإنسان وأخلاقه وإنسانيته وسلوكه دون النظر إلى أصله أو مستواه الاجتماعي والثقافي والعلمي، أو قيمه ومعتقداته الموروثة، تقول نادية: "بيده وحده عطيَّة العبد يكمن صك أحلامي وتحرير روحي المعذبة"[53]. وتثير نادية تساؤلات عديدة لتجد تفسيراً لحبها لعطية وتعلقها فيه. فتقول: "أي سر جعلني أحب عطيَّة، هل هو اندفاع قلبي الذي تعذبت حتى ترمّمت أشلاؤه بعد تجربتي الخائبة مع جواد؟ هل هي أقدارنا التي يرسمها الله فنمضي إليها مسيّرين؟ أم هي فورة الجسد بعد الصبر والحرمان؟ ...أنا الآن ملء وعي واكتمال نضوج، لكنني الأرملة التي تصبح في مجتمعنا "سكندهاند" لا تتوقع عريساً إلا أرملاً أو مطلقاً أو متزوجاً راغباً في زواج ثان للمتعة"[54]. وتغرق نادية بحبها عطيَّة، وتتوطد علاقتها فيه، وبعد وفاة والدها ترافقه إلى المطاعم والنزهات رغم استياء أهلها، لكنها لا تأبه للأصوات المعارضة وتخرج عن صمتها وتطلق العنان لرغباتها، وتتمسك بعطيَّة، وتزوره في شقته حيث يداعب أحدهما الآخر، وتحقق رغباتها المكبوتة من خلاله، وفي ذلك تقول: "رفع وجهي إليه وحرارة وجهه تذيب الجليد وتكويني، والمسافة بيننا تضيق وتضيق.. حتى لم يعد يفصل بين شفتينا سوى بللِهما"[55].

إذن، ثمة دوافع تراتبية عديدة جعلت نادية تخضع لحبِّ عطية ومحاولة الزواج منه، فهنالك الدوافع العاطفية، التي تتمثل في حاجتها إلى إشباع رغباتها المكبوتة، التي قتلها أهلها في إجبارها على الزواج من نايف العجوز والغني والعاجز جنسيا، وتجربتها العاطفية غير الناجحة مع الدكتور جواد الذي رأى فيها امرأة مطلقة يمكن أن تحقق رغباته دون صفة شرعية، وتجربتها الأولى مع عطيَّة العبد ليلة دخلتها، فرأت فيه القدرة على إشباع رغباتها التي لم تشبعها من قبل. والدوافع المادية، التي تتمثل في عدم استغلال عطيَّة لمالها كما فعل غيره، فعطيَّة رفض مالها وهداياها ولم يستغل تحقيق رغباتها، والموافقة على الزواج منها مقابل الحصول على مالها، فهو يخلص لها؛ لأنه أحبها؛ ولأنه اعتاد الوفاء لأسياده منذ صغره. والدوافع الموضوعية، التي تتمثل في رغبتها بتحقيق أحلامها وممارسة حقوقها كامرأة، في مجتمع سادت فيه قيم الذكورة، ولا تملك أن تُفصح عن مكنونها فيه، وفي محاولة التخلص من اضطراباتها وكوابيسها وصمتها، واضطهاد المجتمع لها

كأنثى ينظر إليها المجتمع في أدنى مراحل السلم الاجتماعي رغم أنها السيدة الأولى في البيت، لكنها تفقد قيمتها وتداس كرامتها من قبل الآخر، المتمثل في الأب والأم والأخ والزوج والمجتمع، وشعورها كأرملة في عدم حصولها على فرصة ثانية للزواج إلا من أرمل أو مطلق أو متزوج يسعى لزواج المتعة، فتبحث عمن يخرجها من صمتها ويعوضها فقدان ذاتها، ويحقق رغباتها في تحقيق أحلامها فلا تجده إلا عند عطية.

غير أنّ زواج نادية من عطية ، يهزّ بنيان عادات المجتمع وأعرافه بأكملها، ولن يتوانى أحد في ردع نادية، حتى لو كانت تملك المال والشقة. ومع أنها حققت جزءاً من أحلامها، إلاّ أنّ هذا الحلم غير مسموح به، ولا يمكن بأي حال أن يُحقَّق؛ في ظلّ وقوف فيصل وإيمان والأم حاجزاً منيعاً في اكتمال نمو مجموع أحلام الأنثى (نادية). أن تتجاوز الأنثى هذه القيود - التي يعلم عطية عدم إمكان حدوثه - أمر يقاتله و يرفضه المجتمع بأسره. فالمجتمع تحكمه تلك القيود الموروثة، فلن يُسمح لها بأن تتزوج من عطية العبد الذي ينظر له المجتمع على أنه عبد خادم مطيع لسيده ينفذ أوامره، رغم أنّ هذه الأوامر مخالفة لعادات وتقاليد المجتمع الذي تنتمي إليه الشخصيات، كما أنه لا ينتمي إلى الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها نادية، التي أصبحت أرملة بعد موت زوجها، وسيدته في وقت واحد، فكيف له أن يتزوجها؟ إضافة إلى عدم تقبل المجتمع له نفسياً، واجتماعياً.

إنّ هول الصدمة التي تفاجئ نادية يبث في المجتمع الكويتي رسائل لم يحملها البريد، فهي رسائل تدق ناقوس الخطر، عندما يكون عطية متنعماً بالحرية بما يفوق ما تتمتع به الأنثى. فهو يمتلك حرية الاختيار والتعبير والانتقال والعيش أينما يشاء، على عكس نادية المرأة الغنية المترفة التي لا تمتلك حرية التعبير أو الاختيار أو العيش أو التصرف بما تملك، فتحاول الهرب من خلال أحلام اليقظة التي لا تحاسب عليها من قبل المجتمع الذي تنتمي إليه، تقول: "أحنُ على أحلام يقظتي مع عطيّة الذي صرت لا أراه إلا قليلاً"[56]. إنّ نادية تخفق في الزواج من العبد عطيّة الذي يرفض هو الزواج منها؛ لأنه يعي حقيقة وجود الطبقية التي يعيشها المجتمع، وإنّ وجود مثل هذه الفوارق له انعكاسات نفسية واجتماعية ومادية وعاطفية على طبيعة التشكيل الاجتماعي في المجتمع الكويتي أولاً والمجتمع العربي ثانياً.

تشير بطلة الرواية نادية، بهذا، إلى معاناة مجتمع أنثوي وسط مجتمع ذكوري. كل أحلامك الممكنة مقبولة. إنهًا وضعتنا أمام وعي ممكن للفتاة التي حققت حلم الدراسة والاستقلال بشقة منفردة، ووعي مرفوض، مع أنه حقّ لم تحرّمه كل الشرائع السماوية، وعي مرفوض أن يتخلى المجتمع - وهو ليس بالأمر اليسير- عن ذلك الموروث الذي يسير بموازاة مقدس ديني، لا بل إن ذلك الموروث الرعوي، وهو يسير بتلك الموازاة، فإنه يمتح من القوة التي تمكّنه من الصمود

والبقاء، والعيش جنباً إلى جنب مع مقدس ديني رباني؛ لأنّ من يؤمن بذلك المقدس الرعوي ليس فرداً فحسب؛ إنّه مجتمع على اختلاف جنسيه؛ الذكر والأنثى.

وللتأكيد في إمعان الذكر في سلطته المدعومة في كثير من الأوقات من الأنثى، فإنّ نادية تكشف الستار عن وجه علاقات زوجية غالباً ما كانت تفشل، والفشل فيها قادم من إحباط ذكوري لها؛ فتذكر(بهيّة) الجميلة، التي كانت الفتيات تغار منها، تتزوج لبنانياً، يمنع عنها أدنى حدود الحرية في رؤية أهلها، أو حتى مشاهدة التلفزيون. وهذه (آمال) المسيحيّة التي عصت أهلها، وتزوجت كويتياً أذاقها الويل. وتلك (صفاء) التي فوجئت نادية بحالها، وترهل جسدها، وعندما تزوجت صار زوجها ينفخ بإذنها: "قولي يا سيدي... يا أميري... أجبرني أن أنحني عند قدميه لأدلكهما كل ليلة قبل أن ينام".[57]

إنّ الزلزال يباشر هزاته العنيفة، مطيحًا بصرح الحب الذي اعتلته نادية، فلم تملك القدرة على تسوية اعوجاج قوس الواقع الثقيل، الذي يؤمن بالفوارق والطبقات، وإنْ كان هذا التقوس يتحطّم ويتهاوى في أحلام يقظة نادية؛ ليُواجَه بتقاليد وعادات عليكِ الالتزام بها؛ لأَنّ هذه المجتمعات ترضع من أثداء متخلفة، وتُرضع حليبها لعقول أجيال تتوارثها جهلاً وخوفاً. وعندها، فإن المجتمع لن يتأخر في توجيه أفواه مدافعه نحو كل من يحاول المساس بنواميسه، إنه سينصب لها المشانق "فالسيد سيد والعبد عبد".[58]؛ لذلك لا داعي لأن تتفاجيء نادية، فعطيّة العبد المَسود عليه في نظر المجتمع؛ ذكرانا وإناثا، أكثر حريّة منك، لماذا؟ لأنك عورة، فأنت أنثى، لن يُسمح لك أن تكوني جسراً تعبر منه الأنثى إلى حريتها على حجارة عاداته وأعرافه الموسومة بصفة القداسة الرعوية. تقول نادية في النهاية : " آآآه يا عطية ... كم أغبطك رغم ما أعانيه، فأنت الآن السيّد الحرّ الذي يتخذ قراره ببسالة الفرسان، بينما أنا- العبدة - الضعيفة أكمن في أسري، وأنتظر من يمنحني شهادة عتقي".[59] لكنها في النهاية تخفق في تحقيق حلمها في الزواج من عطيّة العبد؛ لأنها رغم امتلاكها المال والجاه والعلم إلا أنها لم تمتلك حرية الاختيار والانتقاء، فظلت تعاني من فراغ روحي، وعجز في تحقيق ذاتها وامتلاك حريتها في التعبير. " فيبتعد عطيّة وأخسر خطوة حلمي الأول".[60] لأنّ عطيّة يظل يرسف في قيوده كما ورد على لسان أم نادية، وأكده عطية نفسه، ويبقى ممتنعاً عن الزواج من نادية رغم عرض نادية نفسها عليه، يقول: "ان كنتُ ملكاً في قلبكِ فما أنا سوى عبد في نظرهم".[61] لقد استطاعت الكاتبة ليلى العثمان من خلال أحلام بطلة روايتها أن تميط اللثام عن مدى التفسخ الذي صار إليه المجتمع من خلال استغلال ضعف المرأة وتهميشها، بل وتكبيلها بقيود ذكرية تصبُّ في مصلحة الذكر أولاً وآخراً، وأن تجسد رؤيتها في أنّ هذه الطبقة المسحوقة ستظل تنوء بأغلالها حتى يرضى المجتمع بعتقها ويغير نظرته ، وتزول فكرة الطبقية المهيمنة في المجتمع الكويتي، وأنّى لها أن تزول.

النسيج اللغوي وأحلام اليقظة:

يكشف النص الإبداعي بلغته عن كينونة هذا العمل وجوهره، فاللغة هي الوسيط الذي تتنقل به المشاعر والأحاسيس، التي تحتشد في مكنون مُبدِع النص، ينقلها بكل حمولاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية. وهي قناة التواصل بين المرسل والمتلقي، التي لا يتوقف دورها على الإمتاع، بل لها وظائف كثيرة، تتوقف على مستوى المتلقي.

والنص الأدبي لا يبوح بكل أسراره للقارئ، إنما ينتظر من القارئ المشاركة في إنتاج الدلالة. ووفق حمولات القارئ الثقافية والاجتماعية والسياسية وغيرها، تتشكّل المواقف من النص. وهذا ما يؤكده الباحث الإيطالي " أمبرتو إيكو" في كتابه " القارئ في الحكاية ": "إن القارئ الذي يريده هو القارئ الذي يكتشف معانيه، من خلال كفايات ومهارات في تعامله مع النص، تتمثل في الكفايات الموسوعية، والكفايات المعجمية والأسلوبية واللغوية".[62]

ففي رواية " صمت الفراشات " نحن بمواجهة قارئ تحكم عليه الرواية، بما تحفل به من معارف وعوالم، أن يكون متزودا لحمولات معرفية عن الواقع الذي يحياه المجتمع الكويتي من رفاه، فضلاً عن معرفته للمستوى الطبقي الذي يسود في ذلك البلد؛ ففيه العبيد، فعطية كويتي الأصل لكنه عبد، وفيه البدون، وباقي طبقات المجتمع الكويتي، كما أن ورود بعض الألفاظ العامية في لغة الحوار تتطلب أيضا معرفة بها. يقول عطيّة : " سيدتي.. أرجوك.. ما أنا إلاّ عبد لا يحق له كسر الحواجز".[63]. ويبدو أن توظيف الكاتبة للألفاظ العامية في الرواية جاء لإيهام القارئ بالواقعية لمتابعة الحدث حتى النهاية، والكشف عن طبيعة الشخصيات، وانتماءاتها الطبقية وسلوكها وانفعالاتها وأحلامها.

إنَّ المتتبع للغة السرد في رواية صمت الفراشات يجدها باللغة الفصحى، أما لغة الحوار فقد يلحظ القارئ وجود العامية على نحو لافت، وهو أمر لا ضير فيه في الحالة التي لم يصل فيها إلى لغة السرد. ويبدو أنّ ميل الكاتبة إلى توظيف العامية عائد إلى الواقعية اللغوية؛ التي لا يراد منها نقل الواقع نقلا حرفيا، بل إنها تنقل من الواقع ما يخدم الواقع المتخيل الذي تريده الكاتبة. وفي هذا يقول نجيب محفوظ: "ليست الواقعية صورة لما يقع، ولكن لما يُحتمَل وقوعه... فالشخص في الحياة ليس هو حَرْفيّا في الرواية، وكذلك الحادثة والمكان والزمان. فماذا يمنع أن تكون لغة الحوار في الرواية مختلفة عن الواقع في نطقها ولهجتها فقط".[64]

والكاتبة شكلت شخصيات روايتها من الواقع الذي تعيش فيه، ومن خيالها ووعيها وذكرياتها، وكأنها عايشتهم وتعاملت معهم، فتعرف معاناتهم وأفكارهم وانفعالاتهم وأحلامهم؛ لأن "الكاتب يخلق أشخاصه، مستوحيا في خلقهم الواقع، مستعينا بالتجارب التي عاناها هو، أو لحظها. وهو يعرف كلّ شيء عنهم ولكنه لا يفضي بكل شيء.... وإنما يُعنَى الكاتب بما يخصّ الصلات الإنسانية والنوازع النفسية، وفي هذا لا تكون الشخصيات صورة طبق الأصل".[65].

إنّ ما يطرحه محمد غنيمي هلال هنا لا يتوافق مع ما جاء به علم النفس الحديث والأنثروبولوجيا، الذي أدى إلى إعادة النظر في مفهوم جديد للذات؛ فظهر ما يُسمّى بالذات المنقسمة، فلم يعد الوعي فقط مختصا بالإبداع، بل لاوعي المبدع وعالم الأحلام الليلية صار يعبّر عمّا هو ضدّ إرادته الواعية. وعليه، فإن الوظيفة التي يقدمها الأدب ويعبر عنها من خلال اللغة لم تعد مقتصرة على إفادة وإمتاع الأديب وحسب؛ إنما صارت معرفة يَفيد منها المبدع والمتلقي على السواء. ولذلك، فإن رواية " صمت الفراشات " لا تقدّم لنا معرفة تامة من خلال سلطة المبدعة، أو سلطة النصّ، أو ما صار يسمى حديثا بسلطة القارئ.

إنّ المعنى والمعرفة حصيلة التقاء قراءات متعددة وإبداع المؤلف؛ فليلى العثمان لا تقدم حلولا لمشاكل المرأة الكويتية، لأن المعرفة غير مملوكة لها. فهناك من يقاسمها إيّاها، غير أنها أجادت صناعة حوارات موجهة بلغة قريبة من نفس المتلقي، تخدم رؤيتها، وتسهم في تكوين صورة عن الشخص المتكلم، و"الكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية للشخصيات."[66]، وتصوير "البيئة والمناخ الذي تتحرك فيه الشخصيات" [67]، شأن الحوار الذي يدور بين البطلة نادية مع عطية، حيث تذكر الساردة على لسان عطية: "ألحين أحسّ إني تحررت."[68]، إذ يظهر في لغة الحوار أن المتحدث غير مثقف فاللغة عامية، ثم يأتي الرد من نادية قائلة:

- "ما دمت تحررت، لازم تتزوج".[69]

لقد فرض موضوع الحوار نوعية الشخصيات، وأثر في تحديد لغة الحوار، فشخصية عطية التي لم تحظ بقدر من التعليم غير قادرة على التحاور في الفصحى، لذا لا بدّ لها من أن تستخدم العامية في حواراتها للإيهام بواقعيتها.

أما لغة الساردة هنا فهي لغة نثرية فصحى؛ لأنّ هدفها إيصال رؤيتها للقارئ، متجاوزة الوضع النفسي للشخصيات، وأثره في نفس القارئ. إلا أنها في سردها ووصفها استخدمت لغة نثرية موحية ومشعة ورامزة ودالة، استطاعت تصوير عالم الرواية بأحداثها وشخصياتها وزمانها ومكانها وتقنياتها الفنية، وتجسيد معاني الصمت والحزن والتيه والقمع واضطهاد المرأة والخسران المهيمنة في المجتمعات التقليدية الذكورية، تقول نادية: الليل الحنون بصمته يكرمني بموائد الأحلام العمرة بلذائذ لقاءاتي بعطيّة. ومنذ أن مرض أبي، تقلصت أحلامي الممتعة، ولازمتني كوابيس مرعبة تفزعني من نومي وقد اكتسح الجفاف حلقي... وأبقى في فراشي يقظانة كحشرة معوقة. أستعيد أحلامي".[70]

أسهمت هذه المفردات اللغوية المشعّة بطاقاتها الإيحائية والتصويرية والتوصيلية في تكثيف اللقطات السردية والوصفية والربط بينها؛ لتجسيد الحركة وتنمية الأحداث والمواقف وتطور الشخصيات، ومنحها القدرة على التأثير والتصوير والإقناع، وتشكيل فكرة النص ومقولته الرئيسة. لقد كتبت ليلى عثمان روايتها بلغة تصويرية تعبيرية منحتها اهتماما خاصاً، وأضفت عليها شعوراً

أنثوياً، فعكست نفسية شخصياتها وأحلامها بإيقاع سردي منتظم؛ لأن "حيوية اللغة وانغماس التعبير بدم التجربة في استجلاب لحظات زمنية نابضة واستحضار زمن حسي مجبول بالمشاعر لا زمن تجريدي محايد، جعل اللحظة الزمنية تستمد طاقاتها التعبيرية ومذاقها الخاص من الكيان النفسي والشعوري للشخصية"[71] .

وقد جاءت لغة السرد في الرواية مثيرة، إذ اصطبغت بالألفاظ التي توحي بدلالات اجتماعية، من خلال المشاهد التي وظفتها الكاتبة لتضيء الأحلام والكوابيس والعوالم، فجسدت الواقع الاجتماعي، وكشفت بالمشاهد السردية عن أشكال القهر والقمع والانهزام والنزف الإنساني، فكانت اللغة وعاء يحتوي الأفكار والصور "فإذا كانت اللغة بدورها تؤسس هوية الفرد وتحقق اجتماعيته، فإنها من زاوية وظيفتها الشعرية أو الإبداعية تشيِّد خصوصية النص الأدبي وتميزه لتبرز فكرة الانزياح بانفتاح النص الروائي وتحرره" [72] .

حاولت الكاتبة في لغتها المثيرة والقريبة من لغة القارئ الكشف عن انعكاس نفسية الشخصيات المعذّبَة والصامتة من جهة، والقامعة والساديّة من جهة أخرى، فحققت اللغة بذلك وظيفتها الاجتماعية كما يكشف المقطع السردي التالي "اقترب العبد فصرخت. ضاعف العجوز قوته وهوّس على ذراعي ضاغطاً بكفه اليابسة على ثغري ليكتم صوتي. بينما عيناي المرتعبتان لا تقويان على الانغلاق، أحدق بوجه العبد ذي العينين الصفراوين البارقتين، اقترب أكثر، كشف عني الغطاء الحريري، بدأ يعريني، عافرت بساقي لأمنعه، لكنه، ولشدة قوته، استطاع أن يوهن كل جسدي حتى سيطر عليه وباغتني بسيخ النار الملتهب، اخترقني حتى الحنجرة التي أفرزت سائلاً يصطخب مذاقه بكل الطعوم المُرّة. لا أدري كيف جاءت صرختي مدوية. كأنني اختزنت آلاف الصرخات فانطلق حبيسها دفعة واحدة. ضغط العجوز بذراعه على وجهي، شعرت بأنني أختنق وأموت وصوت العبد اللاهث يتسرب إليّ -:تفضل عمي. حررني العجوز من ثقله ورائحته، أفقت فاصطادت عيناي العبد وهو ينحني لسيده بعدما هيأ له الوليمة، لملم ثيابه، حملها وخرج عارياً". [73]

المكان ودلالاته:

تدور أحداث الرواية في الكويت، وكثيرة تلك الأمكنة التي وردت فيها؛ لكنها كانت على نوعين: أمكنة مغلقة وأُخرى مفتوحة. وقد كانت مبثوثة على امتداد السرد، والسرد في انتشاره يضفي على المكان حالة ساكنيه. أما الأمكنة المغلقة في الرواية فكثيرة، منها البيت والقصر، والمفتوحة كالشارع والمدرسة والساحات والبحر.

إنَّ انغلاق المكان أو انفتاحه مرهون بالوضع النفسي وأحلام اليقظة؛ فنادية في قصر العجوز كانت تعاني انغلاقاً، فرضه نايف عليها من خلال تعامله معها تعاملا منحطّا، إذ فرض عليها أن تكون صامتة، ولا تتفوّه بكلمة واحدة، فكان القصر قبراً ؛ لأنه لم يتفق وأحلامها الهادئة المستقرة، رغم أنه مؤشر على شريحة الطبقة الثرية في الكويت، تقول: " كلُّ ما هُيئ لي في هذا القصر من

ثراء وألبسة ومجوهرات لا يساوي شيئاً، ولا يطاول قامة حلمي الوحيد أن أكسر تلك القبضان ذات يوم وأفرّ إلى حيث الحياة عطوفة شهيّة وصادحة".[74] لقد كان أسر النفس والروح فيه محزنا، يستحيل القصر وغرفة نومها ليلاً إلى قبر، وأغطية سريرها إلى كفن لها. إنّ النفس تلقي بعباءة كآبتها وحزنها على ذلك القصر الذي لم تدخله راغبة؛ فقد دخلته مجبرة مهانة من أبيها وأمها، وما زاد الطين بلّة تلك الإهانات من العجوز نايف. " كانت رغبتي في الخلاص من العجوز وقصره قد سيطرت بكل أبعادها عليّ وتملّكتني... وعمري المضغوط لا يتنفس إلا صلوات سرّيّة تتوسل معجزة ما لتنهي خرسي، تشعل صوتي، تقلعني من هذا القبر...". [75]

وإلى الرحابة؛ رحابة الروح، تنقل أحلام اليقظة البطلة نادية نقلا يعيدها إلى بيت الطفولة، حيث الذكريات التي تؤنس النفس والروح، بعد أن قضى نايف وانتهى، تبدو الأمكنة وقد أسبغتها بهدوء تلك الروح الأنثوية. فتختار شقة تطلّ على البحر، وتجعل ألوان جدرانها بيضاء مثل صفاء روح أحلامها، وتبدأ مع المكان حكاية الأحلام الجميلة، سائرة نحو مرادها، دون رهبة أو توان، محققة جزءا منها.

وأسهم المكان المتخيل في حشد الصراع وتأزّمه حيناً، وآخر كان مؤازراً لانحلال المشاكل والعقد انحلالاً سلساً جميلا، لقد تجلّت حميميّة المكان في أثناء عودة نادية إلى بيت الطفولة (بيت أبيها) بعد أن هربت من القصر. "حلمي الوحيد أن أعود إلى بيتنا البسيط الآهل بالحركة وضحكات أولاد أخي ... لكنة حرمني من رؤية البيت وأهلي".[76] إنّ الصورة التي جاء عليها المكان في رواية "صمت الفراشات" تتجاوز الوصف، وهو ما ينبغي، في هذه الدراسة الموضوعاتية أن تتجاوزه. يقول غاستون باشلار : "بالنسبة للظاهراتي فإن هذه الظلال الدقيقة يتوجب اعتبارها التخطيط الأولي لظاهرة نفسية... سوف نرى الخيال يبني "جدرانا " من ظلال دقيقة، مريحا نفسه بوهم الحماية، أو على العكس فقد نراه يرتعش خلف جدران سميكة متشككا بفائدة أقوى التحصينات".[77]

نعم إنّ ليلى العثمان لم تتحدث عن أمكنة واقعية، إنما خيالها من قام ببنائها، وفقا لما اعتور نفسيتها من همّ وحزن، أو فرح وسعادة. ولترصّ بنيان أحلامها فقد جعلت من الذاكرة محركاً يعود بها إلى بيت الطفولة تارة، وإلى قصر نايف تارة ثانية، وإلى شقتها التي حاولت الحصول على التحرر والاستقلال عبرها تارة ثالثة. وقد قام المكان بتقديم وظيفة تفسيرية، صوّرت الكاتبةُ من خلالها حياة الشخصيات التي صنعتها في أحلامها، فظهرت التفاعلات بين الشخصيات والمكان؛ "لأن المكان قد يعكس نفسية الشخصيات ويكشف عن هويتها وأنماطها"[78].

إن المكان الذي شكّلته الكاتبة في تجربتها الروائية ومشاهداتها وأفكارها وخيالها قد جسّد فكر الشخصيات وكشف عن أفكارها وأخلاقها وتطلعاتها ووعيها وطريقة حياتها؛ لأنه "الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، لذا شأنه شأن أي نتاج

اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاق ساكنيه وأفكارهم ووعيهم، ومن خلال الأماكن يستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم، وكيفية تعاملهم مع الطبيعة".[79]

فقدمت ليلى عثمان من خلال شخصية نادية قضايا بارزة في المجتمع الكويتي، وشكّلت الكاتبة الأماكن في الرواية متلائمة مع طرحها، ومرتبطة بذكريات الشخصية الماضية والمؤلمة باستحضارها أحداثاً ماضية تصف المكان، ولعل "ربط المكان الموصوف بالإنسان وذكراه أعطاه دفقاً من حياة الإنسان وحركته وربطه بهذه الحركة"،[80] فكان مكان المدينة "الكويت" خشبة مسرح تتحرك فوقها سلطة الرجل على المرأة بمساندة المرأة له، والاستغلال الجنسي والمادي الذي تعرّضت له نادية. فرسمت شخصية للمرأة لا تمثل قضية اجتماعية مفردة، "إنّما مجموعة من قيَم وقضايا عصرها، وهي بذلك تحمل قضايا فكرية ونفسية تكاد تغلب بصبغتها على واقع هذه الشخصية".[81]

لعبة الزمن وأحلام اليقظة:

ترتبط رواية" صمت الفراشات" بعنصر الزمن، وتتفاعل من خلاله مع العناصر الفنية الأخرى التي نسجت مادة الرواية وشكّلت شخصياتها وأحداثها، بل أسهم الزمن في منح الرواية شكلها النهائي. وهو تقنية فنية اعتمدت عليها الكاتبة في تشكيل أحلام شخصياتها، فالزمن هو "المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل الحياة، وحيز كل فعل وكل حركة، بل إنها بعض لا يتجزأ من كل الموجدات، وكل وجوه حركتها ومظاهرها وسلوكها".[82]

إنَّ لعبة الزمن لا تكون بمعزل عن المكان والشخوص واللغة، التي تعدّ عناصر رئيسة في بناء الرواية. فعلى امتداد السرد يطول ويقصر الزمن ، وقياسه لا يكون بمقاييس واقعية؛ لأننا في خضمّ بناء متخيل في كل عناصر بنائه. وأحلام اليقظة تقوم على الذكريات والتوقع، والذكريات تسير باتجاه معاكس للتوقع دوما؛ فعندما أقول تذكرت فأنا أعود إلى الماضي، لكنني في تذكري له في وقتي الحاضر لم يعد ماضيا، إنه صار حاضر الماضي، فعندما تقول نادية إنني أحلم بإكمال دراستي، أو العيش في شقة معزولة، فإنها تقوم بإحضار المستقبل إلى الحاضر.

وعليه، فإن الأزمنة تنعقد في أحلام اليقظة انعقاداً، يبدو حلّه للوهلة الأولى عسيراً، لكننا في ربطه بالنفس وتمددها وانتشارها، فإننا يمكن أن نشعر بحلاوة الزمن ومرارته. وهو أمر يمكن إزاحة الستار عنه من خلال الأحلام، التي كانت تحلم فيها نادية، وهي في قصر نايف، لكن النفس مقبوضة مقيدة في ذلك المكان، وكثيراً ما يكون وقتها ليلاً، فتزيد سواد الحلم بؤساً. وعند عودة نادية إلى بيت الطفولة أطلقت لأحلام يقظتها العنان؛ لأن النفس صارت في هدوء وانتشار جميلين. فالزمن مقرون بالنفس وفي تقلباتها راحة أو سوءاً؛ لأنّ إدراك الإنسان للزمن " لا يكون إلا رهن استدعاء الإنسان له، فهو يستدعي الماضي لحنينه إليه، أو يستدعي الحاضر لقلقه عليه، أو يستدعي المستقبل لأمله فيه أو يأسه منه".[83] تقول نادية: " إفراج.. وإجازة شهر للراحة".[84]

وقد حفلت رواية " صمت الفراشات " بالتحكم في الزمن، وفقا لحالات نادية النفسية، وهي تحت القهر في القصر. وتسبغ الكاتبة تلك النفس على الزمن إذا ما ذكرت طريقة الهروب من القصر؛ فقد كان زمناً طويلاً، لم يكن محدداً بالقياس الكوني، إنما من خلال اللغة والحالة النفسية المرتعبة لنادية. فضلا عن أن الكاتبة كانت تشير أحيانا إلى طول ذلك الزمن، من خلال تقنيات الطباعة؛ إذ رسمت لنا كلمة (يزحف) مقطعة بهذه الصورة قائلة: " الزمن ي.. ز... ح.... ف..."[85]، وهو هنا يطول تعبيراً منها عن ثقله، ولكنه قد يطول، ويكون مع طوله أمراً محبباً لها، وهذا ما نراه من خلال الوقفات الوصفية، ولا سيّما عندما كانت تسهب كثيراً في وصف أحلام يقظتها كاشفة مشاعرها وانطباعاتها، تقول نادية: " تبدأُ بي رحلة أشبه بالحلم المستفيض بتلويناته، أحسُ جسدي صغيراً، ورديًّا، ناعماً، عارياً."[86] ... " كانت أحلامي أحيانا تشدّني إلى يوم يتفتّح فيه قلبي للحُبّ ثانية فأجد من يعوّضني... كنت أشعر بأنّني أبني أحلامي على رمال متحرّكة" .[87]

إنّ اعتماد الرواية في تشكيلها السردي على أحلام اليقظة يكشف عن الصّدع المتبطّن أعماق أزمنته، ويبيّن ملامح انشطار عميق لذات الشخصية، بدت من خلال الذوات التي حاولت جاهدة التوحّد معها، مثل عطيّة العبد، ومحاولة التخلص من الذوات القبيحة، مثل: زوجها نايف الذي استباح روحها قبل أن يستبيح جسدها، وجواد الذي استغل فراغها العاطفي ووحدتها الروحية واسمها الجديد "المطلّقة"، وعائلتها التي استغلت ضعفها وصغر سنها وصمتها فرأتها سلعة. فكانت معاناتها العميقة التي تعيشها وحدها، عبر الزمن المتصدع، وتخفيها، ولا تتكشف إلا من خلال أحلام يقظتها، هي وحدها سبب معاناتها وتشرذمها، فيستحيل الحلم إلى فسحة زمنية لصيقة بذاتها، تتجدد فيها طاقاتها وتكشف عن رغباتها، ويتوهّج فيها جوهرها بعيداً عن تدخّل الآخرين وتطفّلهم، واقتحامهم مكنوناتها، وإمكانات الأنا إلى امتداد زمنيّ آخر كئيب، تتحول معه الدقائق وحوشاً جائعة، وأحلاماً كابوسيّة تتولد من رحمها المصائب والآلالم والمواجع وتتبدد الأحلام.

الخاتمة:

إنّ المقاربة الموضوعاتية لرواية "صمت الفراشات" ساعدت في الكشف عن عوالم تصنعها الأنثى المبدعة في أحلامها، والتي استسلمت حينا، لكنها رفضت بعد هذا أحايين كثيرة. فصورت المآسي والهموم التي عششت في أعماق الأنثى الكويتية، والتي جعلتها الكاتبة في هذه الرواية تطفو على سطح الأحداث، واضعة إياها على طاولة البحث والنقاش في مجتمع يميل إلى الآخر كثيراً.

لقد جسّدت الكاتبة المبدعة ليلى عثمان، بهذا الطرح الموضوعي، جرحَ المرأة الذي ما زال نازفا، طالما سادت الذكورة السلبية، وقيمها في سلطتها وتمادت. ودقّت ناقوس الخطر في استمرار هذا التعامل السلبي مع الأنثى، حيث يبدو المجتمع في ظلّه ذاهبا إلى نهاية مأساوية، ولا

استقرار فيه، مع وفرة المال وكثرة الكماليات، والقصور المنيفة، التي لا تبني روحاً وذاتاً، أو وجودا مفردا للمذكر، دونما تدخّل من شقيق الروح (الأنثى). وفي ضوء هذه الرؤية، فإن الكاتبة تلامس حدود الداء وأعماقه، وتشخصّه خير تشخيص، فهو أمر لم يعد عارضاً، بل إنه داء عضال، دواؤه إعادة النظر في التأسيس لمجتمع خال من كل هذه المفارقات العجيبة، التي تعلي من الآخر، وتحطّ من الأنا.

وكشفت الرواية عن معاناة المرأة على امتداد خيط السرد، وخاطبت القارئ، وسعت إلى تنمية قدراته على تفسير الظواهر الاجتماعية، وتشكيل رؤية جديدة لما يحياه في الواقع. وبينت من خلال تقنية الحلم مستويات دنيا من السلوك والتعامل مع الأنثى، لن تعود بالنفع على المجتمع، بل ستكون حواجز مانعة إيّاه من السير إلى الأمام والإعلاء من شأنه. الأمر الذي يهدد مآل المجتمع بأسره في ظلّ غياب للهوية و الذات، اللذين لا يقتصر بناؤهما على واحد دون الآخر.

كما جسدت الرواية لوناً متميزاً من ألوان الحلم وهو حلم اليقظة عند المرأة الذي يتحقق بفعل الرجل، وكشفت من خلال تفاعل بعض الأدوات والأساليب الفنية، مثل اللغة والمكان والزمان عن أنواعه وأبعاده ودلالاته، فصورت أطيافاً من القمع و الصمت والضياع والإحباط والخيبة والتبعية تعيشها المرأة في المجتمع، واستندت في رسمه إلى وعي فكري وجمالي جديدين يهدفان إلى إثارة الأسئلة والتساؤلات، وإلى تحريض القارئ وإثارته، ودفعه إلى تطوير أدواته لاستخلاص فكرة النص التي تشكل المرأة مرجعيتها الأولى.

وتبدو رواية "صمت الفراشات" رواية طموحة وجريئة، إذ سعت للكشف عن أزمة المرأة ومعاناتها في المجتمعات الذكورية، فالكاتبة في روايتها تفتح الباب على مصراعيه، لتصور مآسي الأنثى وهمومها وأحلامها، ليس في مجتمع الكويت فحسب، إنما تبسطه على أرض مجتمعاتنا العربية؛ من لبنان وسوريا وفلسطين إلى شعوب الخليج العربي. وكأنها تكشف المستور عن قضايا ظللنا نداويها بالصمت، إلى أن صار الصمت يضيق بها. إننا مع هذه الهالة التي نحيط بها أنفسنا، ونحيا فيها، فإننا نأسر إنسانا يعدّ جزءا منّا، وأساسا في وجودنا، ومدخلا لهُويّتنا.

Daydreams in the Novel of Samt Alfarashat (Silence of Butterflies)

Muntaha Al-Harahsheh, *Department of Arabic Language and Literature.*

Al al-Bayt University- Jordan.

Abstract

This study discusses daydreaming, as one of the main technical devices that have been demonstrated notably in the novel "The Silence of Butterflies" of the contemporary Kuwaiti novelist Laila al-Othman. It tackles, in light of the thematic approach, daydreams of the main characters of the novel, namely; Zeinab's dream, Nadia's dreams: the escape dream, the studying dream, the owning apartment dream, and the dream of love: dreaming of Jawad, and dreaming of Atiah. The main purposes to approach these daydreams are to reveal the suffering and reality of women, and their insides and components in the Arab patriarchal societies, and to understand the reasons for their silence. In addition to that, the study seeks to clarify the impact of the interaction of language, time and place in the formation of daydreaming in the novel, and the nods embodied in daydream, and its impact on the behavior of the characters, and the awareness of the act for the writer.

The study, among its most important results, concludes that the technique of daydreams enabled the writer to put her vision of women's issues and worries on the table research and discussion, and opened the door wide to visualize the tragedies of women in Kuwaiti society in particular and Arab societies in general, and to alert the reader to the dangers of imbalance in dealing with women in patriarchal societies, and bury their aspirations, and drawing intellectual and aesthetic awareness that raises questions, and incites the reader to develop tools to extract the idea of text that makes up woman his first authority.

قدم البحث للنشر في 2013/4/17 وقبل في 2013/7/22

الهوامش:

(1) المحسن، فاطمة: "المرأة الجديدة في رواية ليلى عثمان صمت الفراشات"، **صحيفة الرياض**، الخميس،27جمادي الأخر، 1428هـ، 12 يوليو، 2007م، العدد14262، ص10، على الموقع الإلكتروني www.alriyadh.com

(2) التمارة، عبد الرحمن: "رواية صمت الفراشات لليلى عثمان: سردية الأنثى المقهورة بالصمت"، **منابر ثقافية**، ملتقى المثقفين العرب، على الموقع الإلكتروني: www.mnaabr.com

(3)الأسطة، عادل: "صمت الفراشات – قص الفراشات"، **ديوان العرب**، الاثنين، 28 كانون الثاني،(يناير) 2013م، على الموقع الإلكتروني: www.diwanalarab.com

(4) أبو هيف، عبد الله: "أزمة الذات في الرواية العربية"، **مجلة الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، المجلد 24، العدد 4، 1996، ص 229.

(5)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**، ط1، دار الآداب: بيروت، لبنان، 2007م، ص:15.

(6)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**،ص:56.

(7)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**، ط1،ص:57.

(8)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**، ط1،ص:57.

(9) الماضي، شكري: "أنماط الرواية العربية الجديدة"، **عالم المعرفة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت رمضان 1429هـ ، سبتمبر 2008م، ص104.

([10]) برجيز، دانييل : "النقد الموضوعاتي" ، مجموعة من الكتّاب: **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**، ت: د. رضوان ظاظا، م: د. المنصف الشنوفي، عالم المعرفة، ع: 221، الكويت، أيار 1997م، ص: 100.

([11]) برجيز، دانييل : "النقد الموضوعاتي"، **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**، ص: 100- 101 .

([12]) باشلار، غاستون: **شاعريّة أحلام اليقظة**، ت: جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت،1991م، ص 8.

([13]) انظر: **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**، مرجع سابق، ص 104-105.

([14]) نويل، جان بلّامان: **التحليل النفسي والأدب**، ت: د. عبدالوهاب ترّو، منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان، 1996م ، ص48.49.

([15])برجيز، دانييل : "النقد الموضوعاتي"، **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**، مرجع سابق، ص. 105.

([16])برجيز، دانييل : "النقد الموضوعاتي"، **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**، ص 106.

([17]) انظر: باشلار، غاستون: **شاعريّة أحلام اليقظة**، مرجع سابق، ص: 130.131.

(18) العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**،ص:49.

(19) العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: 260 .

(20)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 114.

(21) العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**:ص:100.

(22)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 201.

(23)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 96

(24)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 62.

(25)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 30.

(26)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 32.

(27)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 35-36.

(28)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 51.

(29)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 16.17.

(30)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 17.

(31)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 94.

(32)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 101.

(33)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 159.

(34)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 191.

(35)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 100.

(36)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 106.

(37)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 112.

(38)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 119.120.

(39)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 142.

(40)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص142

(41)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 144.

(42)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 134 ، 144.

(43)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 206.

(44)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 169.

(45)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 172.

(46)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 179.

(47)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 171.

(48)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 205.

(49)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 210.

(50)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 212.

(51)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 210.

(52)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 102.

(53)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 30.

(54)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 242.

(55)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 250.

(56)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 240.

(57)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 273.

(58)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 266.

(59)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 286.

(60)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 38.

(61)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 267.

(62) انظر: إيكو، أمبرتو: **القارئ في الحكاية**، ط1، ت: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي: المغرب، 1996م.ص: 68.

(63)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 52. وانظر: ص 45،53 ، 55، 60، 66، 68، 70، 77، 78، 86، 94، 110، 122، 131، 143، 143، 150، 151...الخ.

(64) محفوظ، نجيب: **أتحدث إليكم**، دار العودة: بيروت، 1977م، ص: 48.

(65) هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة: بيروت، 1987م ص: 264.

(66) انظر: بحراوي، حسن: **بنية الشكل الروائي**، ط1، المركز الثقافي العربي: المغرب، ص(166).

(67) الماضي، شكري: **فنون النثر العربي الحديث**، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمّان، الأردن، 1996م، ص47.

(68)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 131.

(69)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 131.

(70)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 235. وانظر: ص 236، 239،238،237.

(71) حداد، نبيل: **القصة القصيرة في الأردن، اضاءات وعلامات**، دار الكندي، إربد، الأردن، 2005، ص86.

(72) عقار، عبد الحميد: اللغة الروائية وآفاق التجريب والحداثة في الرواية المغاربية، ملتقى الروائيين العرب الأول، قابس، تونس، من 31 تموز إلى 4 آب، 1992م، ص195- 196.

(73)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 22.

(74)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 24.

(75)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 51 ، 28.

(76)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص 24.

(77) باشلار، غاستون: "جماليات المكان"، ت: غالب هلسا، **مجلة الأقلام**، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م، ص: 43.

(78) الشوابكة، محمد : "دلالة المكان في رواية مدن الملح"، **أبحاث اليرموك** : جامعة اليرموك، المجلد 9، العدد2، أربد، الأردن، 1991م، ص10.

(79) النصير، ياسين: الرواية والمكان 2، وزارة الثقافة، بغداد، 1995م، ص16.

(80) النابلسي، شاكر: **جماليات المكان في الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 1994،ص72.

(81) انظر: الزهراء، فاطمة محمد سعيد: **الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ**، بيروت 1982، ص 131.

(82) زايد، عبد الصمد: **مفهوم الزمن ودلالته**، الدار العربية للكتاب، تونس،1988، ص7.

(83) إبراهيم، نبيلة: فن القص في النظرية والتطبيق: ط1، مكتبة غريب، القاهرة، 198ص139.

(84)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص: 201.

(85)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص28.

(86) انظر: العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص18 ، 22 ، 27، ، 52، 53، 42، 93، 116، 152، 164، 170، 273.

(87)العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**: ص198.

المراجع:

إبراهيم، نبيلة: فن القص في النظرية والتطبيق: ط1، مكتبة غريب، القاهرة.

1الأسطة، عادل: "صمت الفراشات – قص الفراشات"، **ديوان العرب**، الاثنين، 28 كانون الثاني،(يناير) 2013م، www.diwanalarab.com

إيكو، أمبرتو: **القارئ في الحكاية**، ط1، ت: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي: المغرب، 1996م.

باشلار، غاستون: **شاعريّة أحلام اليقظة**، ت: جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت،1991م.

باشلار، غاستون: "جماليات المكان"، ت: غالب هلسا، **مجلة الأقلام**، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م.

بحراوي، حسن: **بنية الشكل الروائي**، ط1، المركز الثقافي العربي: المغرب.

برجيز، دانييل : "النقد الموضوعاتي" ، مجموعة من الكتّاب: **مدخل إلى مناهج النقد الأدبي**، ت: د. رضوان ظاظا، م: د. المنصف الشنوفي، عالم المعرفة، ع: 221، الكويت، أيار 1997م.

التمارة، عبد الرحمن: "رواية صمت الفراشات لليلى عثمان: سردية الأنثى المقهورة بالصمت"، **منابر ثقافية**، ملتقى المثقفين العرب، الموقع الإلكتروني: www.mnaabr.com .

حداد، نبيل: **القصة القصيرة في الأردن، اضاءات وعلامات**، دار الكندي، إربد، الأردن، 2005.

زايد، عبد الصمد: **مفهوم الزمن ودلالته**، الدار العربية للكتاب، تونس،1988.

الزهراء، فاطمة محمد سعيد: **الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ**، بيروت 1982.

الشوابكة، محمد : "دلالة المكان في رواية مدن الملح"، **أبحاث اليرموك** : جامعة اليرموك، المجلد 9، العدد2، أربد، الأردن، 1991م.

عقار، عبد الحميد: اللغة الروائية وآفاق التجريب والحداثة في الرواية المغاربية، **ملتقى الروائيين العرب الأول**، قابس، تونس، من 31 تموز إلى 4 آب، 1992م.

العثمان، ليلى: **صمت الفراشات**، ط1، دار الآداب: بيروت، لبنان، 2007م.

الماضي، شكري: "أنماط الرواية العربية الجديدة"، **عالم المعرفة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت رمضان 1429هـ ، سبتمبر 2008م.

الماضي، شكري: **فنون النثر العربي الحديث**، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمّان، الأردن، 1996م.

المحسن، فاطمة: "المرأة الجديدة في رواية ليلى عثمان صمت الفراشات"، **صحيفة الرياض**، الخميس،27جمادي الأخر، 1428هـ، 12 يوليو، 2007م، العدد14262. الموقع الإلكتروني www.alriyadh.com

محفوظ، نجيب: **أتحدث إليكم**، دار العودة: بيروت، 1977م.

النابلسي، شاكر: **جماليات المكان في الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، 1994.

النصير، ياسين: **الرواية والمكان 2**، وزارة الثقافة، بغداد، 1995م.

نويل، جان بلّامان: **التحليل النفسي والأدب**، ت: عبدالوهاب ترّو، منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان، 1996م .

هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة: بيروت، 1987م.

أبو هيف، عبد الله: "أزمة الذات في الرواية العربية"، **مجلة الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، المجلد 24، العدد 4، 1996.